الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف-المسيلة
كلية:العلوم الإنسانية و الاجتماعية
قسم:الفلسفة

رقم التسجيل: 161635099208

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات لنيل شهادة الماستر تخصص: الفلسفة

إعداد الطالب (ة):

حرحوز أميرة

بعنوان:

أسس الحركة التاريخية عند مالك بن نبي

امام لجنة المناقشة المكونة من السادة الاساتذة

اسم ولقب الاستاذة	الرتبة	الجامعة	الصفة
.....	.....	جامعة المسيلة	رئيسا
د. حميدي لخضر	.....	جامعة المسيلة	مشرفا ومقررا
.....	.....	جامعة المسيلة	مناقشا

السنة الجامعية: 2021-2022

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر و تقدير :

أشكر الله عز وجل و أحمده محمدا كثيرا على توفيقه لي و منحي القوة في انجاز و إتمام هذا العمل المتواضع أولا كما أتقدم بالشكر الجزيل وخالص امتناني و عرفان بالجميل إلى الأستاذ المشرف الدكتور حميدي لخضر على النصح و الإرشاد و الإشراف و التوجيهات القيمة و كان لي عونا و سندا فكان الله في عونك وأطال الله عمرك و لك مني فائق التقدير و الاحترام .

كذلك أتقدم بجزيل الشكر إلى كافة أساتذة قسم الفلسفة بجامعة محمد بوضياف بولاية المسيلة من مؤطرين و أساتذة و طلبة .

إهداء :

الحمد لله الذي بعونه تتم الصالحات و الصلاة و السلام على سيدنا محمد عليه أزكى و أفضل التسليم و على آله و صحبه أجمعين أما بعد :

أهدي ثمرة عملي هذا إلى من قال فيهما الله عز و جل : {وَاخْفِضْ لَهُما جَناحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُما كَما رَبَّيانِي صَغِيرًا } الإسراء الآية 24.

إلى التي لا يطيب النهار إلا برؤيتها و لا تحلو الأيام إلا بوجودها إلى من كانت تحفزني بركات دعائها ، إلى رمز التضحية و الحنان ... " أمي الغالية " أطال الله في عمرها.

إلى الذي دعمني و كان سندي في مشواري الدراسي ، صاحب القلب الكبير " أبي الغالي " أطال الله في عمره .

إلى جميع إخوتي و أخواتي الأعزاء حفظهم الله و وفقهم في حياتهم .

إلى كل من أحبهم قلبي و لم يذكرهم قلمي .

المقدمة

مقدمة :

يعد موضوع التاريخ من القضايا المهمة و المدروسة على طاولة النقاش سواء على المستوى الفكري أو السياسي أو الاقتصادي ، ولقد قام الكثير من الفلاسفة و المفكرين بمحاولات عديد لتفسير التاريخ وكان بعض المؤرخين يكتفون بتجميع الذكريات التاريخية بدل تحليلها و تفسيرها عقليا ، ومن بين المفكرين البارزين في الفكر العربي الإسلامي نجد المفكر الجزائري مالك بن نبي الذي تناول دراسة التاريخ و تطرق إلى فكرة حركة التاريخ ، و التاريخ هو مصطلح شامل و يتعلق بالأحداث الماضية بالإضافة إلى الذاكرة ، و اكتشاف و جمع ، و تنظيم و عرض و تفسير المعلومات حول هذه الأحداث .

و إذا كانت الغاية من التاريخ هو تطور الدولة ، فإن الحركة التاريخية تكون محددة من أسس انطلاق هذا التاريخ هادفة نحو وجهة تتسم بالتغير و التطور ، فلماذا تقوم حضارة و تتدهور أخرى ؟ و كما سبقنا و أشرنا لقد تطرق مالك بن نبي إلى فكرة التاريخ و الحركة التاريخية و كيف يمكن لها أن تؤول نحو غاية يسميها الحضارة ، و عليه نطرح الإشكالية التالية :

من الذي يحرك التاريخ بشكل عام ؟

و ضمن هذه الإشكالية تتدرج تساؤلات فرعية نذكر منها :

- من المتحكم في الحركة التاريخية ؟
- ما هو المحرك التاريخي عند مالك بن نبي ؟

و المنهج الذي اعتمدته هذه الدراسة هو المنهج التاريخي و التحليلي ، من خلال تحليلنا لعناصر الموضوع ، و ذلك تحليلا لأفكار مالك بن نبي .

من أهم الأسباب التي دفعتني لاختيار هذا الموضوع هي أسباب ذاتية و موضوعية نذكر منها :

❖ **أسباب ذاتية :**

- ✓ محاولة التعريف بعالم جزائري مالك بن نبي الذي كرس حياته لخدمة الأمة الإسلامية عامة ووطنه خاصة .
- ✓ إبراز مكانته المرقومة التي يمتلكها مالك بن نبي من بين المفكرين العرب .
- ✓ طرحه لفكرة الحركة التاريخية التي كانت من أهم المشاريع العربية .

❖ **أسباب موضوعية :**

- ✓ إن فكرة مالك بن نبي هو مشروع شخصية ينطلق من الإنسان إلى الثقافة إلى التربية إلى الحضارة .
- ✓ الاهتمام العالمي بأفكار مالك بن نبي و أطروحاته في العلوم الإنسانية و الاجتماعية و إهمال هذا الفكر في بلده الجزائر .
- ✓ محاولة توضيح وفهم فكر العلامة الجزائري مالك بن نبي لكي تستفيد الأجيال من أفكاره الواعية و توجيهاته الهادفة وتعلم الصبر و مواجهة الفتن و التحدي في سبيل نشر الفكر الإسلامي .

و إنجازي لهذه المذكرة كان مبني على مجموعة من الأهداف إذ حاولت قدر الإمكان تحقيقها و تتمثل في :

- ➢ سعيت من خلال موضوعي المتواضع لتحفيز أي قارئ وجعله مهتم بالمفكر و المصلح مالك بن نبي .
- ➢ إبراز مدى مساهمة مالك بن نبي في تفسيره لحركة التاريخ من أجل النهوض لبناء أمة إسلامية .

- سعيت إلى تفسير حركة التاريخ تفسيرا اقتصاديا عند كارل ماركس ، وكذلك تفسيرا مثاليا عند هيجل .

و للإجابة عن الإشكالية اتبعت الخطة التالية : اعتمدت على ثلاثة فصول :

الفصل الأول : تحت عنوان : المرجعية الفكرية لمالك بن نبي الذي يتكون من مبحثين: المبحث الأول : سيرته الذاتية أما المبحث الثاني : مصادره الفكرية .

أما الفصل الثاني : تحت عنوان : الأصول الفلسفية لفكرة التاريخ ، الذي يتضمن المبحث الأول : تفسير فكرة التاريخ وهذا المبحث يندرج فيه ثلاث عناصر : العنصر الأول : فكرة التاريخ ، عند هيجل و تطرقت فيه إلى تفسيره المثالي لحركة التاريخ ، أما العنصر الثاني : فكرة التاريخ عند كارل ماركس تناولت فيه تفسيره الاقتصادي لحركة التاريخ ، وفي العنصر الثالث : تناولت فيه فكرة التاريخ عند مالك بن نبي تطرقت فيه إلى تفسير لحركة التاريخ انطلاقا من تأثير ثلاث عوامل تأثير " عالم الأشخاص " و " تأثير عالم الأفكار " و " تأثير عالم الأشياء " .

وأما الفصل الثالث بعنوان : مالك بن نبي وتصوره لحركة التاريخ و يندرج تحته مبحثين : المبحث الأول بعنوان : شروط الحركة التاريخية يحتوي على ثلاث عناصر ، العنصر الأول : عالم الأشخاص و العنصر الثاني : عالم الأفكار ، و العنصر الثالث : عالم الأشياء ، أما المبحث الثاني بعنوان : أسس الحركة التاريخية ، تناولت فيه عنصرين : العنصر الأول " معامل الفعالية " و العنصر الثاني : " الوعد و الوعيد " .

و أنهيت دراستي بخاتمة تضمنت حوصلة للنتائج التي توصلت إليها من خلال دراستي، و أهم الكتب التي اعتمدتها في بحثي هذا كانت كتب مالك بن نبي و التي أهمها :ميلاد مجتمع ، شروط النهضة ، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي ، تأملات ، مذكرات شاهد القرن بالإضافة إلى بعض المراجع التي تكلمت عن فكر مالك بن نبي .

ومن بين الصعوبات التي واجهتني هو اتساع مجال التاريخ وتنوع مقولاته وتفسيراته ، أما الصعوبة الأكبر فتتمثل في المنهج و الطريقة التي يعرض بها مالك بن نبي أفكاره حيث نجده يعتمد على تكرار نفس الأفكار و نفس الفصول تقريبا في كتبه ، وهناك صعوبات تتمثل في المراجع و المصادر .

وبالرغم من ذلك حاولت تجاوز العوائق محاولة أن أحقق أهداف هذا المشروع بالقدر الكافي .

الفصل الأول : المرجعية الفكرية لمالك بن نبي

المبحث الأول : سيرته الذاتية

المطلب الأول : حياته

أ/ مولده :

اسمه مالك بن عمر بن حضير بن مصطفى بن نبي ، و قد اشتهر بمالك بن نبي ، و كان يلقب باسم الصديق ، و كان والده متعلما في وقت لم يكن الناس يتعلمون فيه بسبب التجهيل الفرنسي ، ولد مالك بن نبي في عام 1323هـ الموافق ل يناير 1905م ، و هو الابن الوحيد لأسرته بالإضافة إلى ثلاث بنات ماتت إحداهن و هو صغير[1] ، إذ أسرته كانت فقيرة ، و قد عمل أبوه موظفا بسيطا في الإدارة الحكومية بمنطقة تبسة بينما أمه السيدة زهيرة كانت تساعد والده في تحسين داخل البيت عن طريق العمل في الخياطة .

و لقد استبشر خيرا في مولده ذلك الوقت حيث كتب و هو يقول في مذكرته عن مولده ، إذ من ولد في الجزائر عام 1905م يكون قد أتى في فترة يتصل فيها وعيه بالماضي ممثلا في أواخره بالمستقبل في أوائل صانعيه و على هذا كان لي حين ولدت تلك السنة الحظ الممتاز الذي يتيح لي أن أقوم بدور الشاهد على تلك الحقبة من الزمان [2].

ب/ نشأته :

لقد نشأ مالك بن نبي في أسرة متدينة لها إطلاع على مجريات الأحداث ، متأثرا بالواقع الأليم الذي أصاب الجزائر فقد حدثته جدته عن هجرة أمها مع والدها إلى تونس يوم دخول المستعمرين الفرنسيين ، و ذلك خوفا على الأعراض التي كانت تنتهكها الجيوش الفرنسية الغازية و حدثته كيف هاجر جد أمه من الجزائر لطرابلس الغرب ضمن تلك المدن

---

[1] مالك بن نبي ، مذكرات شاهد القرن الطفل ، تر: القنواتي مروان ، دار الفكر ، ج1 ، ط1 ، بيروت ، 1969م ، ص 1،2،3 .

[2] المصدر نفسه ، ص 24 .

الجزائرية الكبيرة مثل قسنطينة و تلمسان و التي كانت حوالي سنة 1908م ، و ذلك للتعبير عن رفضه المساكنة مع المستعمر ، كانت قصص جدته هي المدرسة الأولى التي تعرف منها مالك بن نبي عن جرائم الاستعمار كما تعلم منها القيم و الأخلاق الإسلامية .

و يقول أيضا تعلمت من جدي إن الصدق و العطف على الفقراء من أهم الأخلاق التي اعتنى بها الإسلام ، و قد أثرت فيه أحاديث جدته حيث قام بتحويلها إلى سلوك عملي و هو في السن السادسة من عمره حيث أعطى وجبته في يوم من الأيام لمتسول .

و قد كان هناك تأثير ديني آخر في أسرته و هو صلتها بالحركة الإصلاحية و الصوفية الموجودة آنذاك ، و من ثم أرادت الأسرة منه أن يتربى تربية دينية حسنة فأرسلت به إلى كتاب مع فقر الأسرة و من هنا يتضح تكوين ذلك الطفل الديني منذ بداية حياته و تنشئته الدينية ، دخل المدرسة و بعد تخرجه من الثانوية سافر إلى فرنسا و هناك تزوج من امرأته الأولى الفرنسية بعد أن أعلنت إسلامها و سمت نفسها خديجة ، إذ كان لها الأثر الكبير في حياته ، فيقول : **<** أتصور أن الأقدار التي سخرت لي الوسيلة تعرفت خديجة بواسطتها على الإسلام قد سخرها هي لأتعرف بواسطتها على الوجه الأصيل للحضارة الفرنسية **>**[1].

ج/ وفاته :

عام 1973م و أثناء رحلته إلى مدينة الأغواط في الجزائر ، حيث كان يلقي بعض المحاضرات هناك اشتد عليه المرض و قد كان أصيب بسرطان (البروستات) ، فسافر للعلاج إلى فرنسا و أجرى عملية فيها و بعدها نصحه الطبيب بالعودة إلى بلده ،

[1] مالك بن نبي ، مذكرات شاهد القرن الطفل ، المصدر السابق ، ص 8،9،10،11 .

و عاد مالك بن نبي إلى الجزائر ليتوفاه الله بعد ثمانية أيام الأربعاء شوال 1393هـ الموافق ل1973/10/31م ، و نعاه الأستاذ أنور الجندي* بقوله : **<** لبى نداء ربه العلامة الجليل مالك بن نبي في أوائل شهر شوال 1393هـ نوفمبر 1973م عن عمر تجاوز الستين إلا قليلا ، بعد أن ترك ثروة وافرة من الفكر المتجدد الذي نشره باللغة الفرنسية ثم ترجم إلى اللغة العربية ، و قد أتيح له في السنوات الأخيرة أن يكتب بلغة الضاد دون أن يلقي فيها أبحاثه في مؤتمرات القاهرة و مكة و طرابلس الغرب و الجزائر **>**[1].

المطلب الثاني : أعماله و مؤلفاته

أ/ طلبه للعلم و الثقافة :

لقد كان والد مالك بن نبي متعلما ، حيث درس في المدارس الحكومية التي كانت موجودة آنذاك ، و كان على اتصال بالحركة الثقافية و يمتلك مكتبة خاصة يقتني فيها كتبا قيمة كبيرة عربية و فرنسية " و كان مالك يطلع على مكتبة والده كان له أكبر أثر في تكوين شخصيته فيما بعد " [2]، بدأ مالك دراسته في كتاب مدينة تبسة و فيه حفظ أجزاء من القرآن الكريم ، كما التحق بالمدرسة الفرنسية الابتدائية الوحيدة في تبسة ، و كان في الصباح يدرس لعدة ساعات في الكتاب بعد ذلك درس الثانية في قسنطينة و نجح فيها بعد امتحان المنح من المرسوم ، ثم دخل مدرسة سيدي الجليس التي كانت بمثابة معهد إسلامي ، حيث يتخرج الطلاب لممارسة الوظائف الحكومية في التدريس و المحاماة و الطب من المدرسين و المحامين و مساعدي الأطباء و كتاب في المحاكم الفرنسية ، و لقد كان هدف والديه أن يتعلم ليكون كاتب عدل و فيها تعلم النحو و الصرف على يد الشيخ (عبد الجليل) و كان

---

[1] أنور الجندي ، أعلام القرن الرابع هجري ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ب ت ، القاهرة ، ص 139 .

* أنور الجندي : (1917م ، 2002م) ، أديب و مفكر إسلامي مصري ، حافظ للقرآن الكريم كاملا في سن مبكر ، من مؤلفاته ، آفاق جديدة للدعوة الإسلامية في عالم الغرب ، الإسلام و التكنولوجيا ، ....

[2] مالك بن نبي ، مذكرات شاهد القرن الطفل ، المصدر السابق ، ص 140 .

الشيخ (المولود بن موهوب) يعلمه علم الكلام ، و سيرة الرسول عليه الصلاة و السلام ، و درسه بعض المدرسين الفرنسيين ، (فمارتن Martin) علمه علم التعبير و المطالعة ، و (بوبريتي Bobriter) علمه التاريخ و الأدب الفرنسي ، بذلك جمع بين ثقافتين مختلفتين و طالع الكتب الأدبية و قرأ للأدباء و الشعراء القدامى و المحدثين العرب منهم و الفرنسيين ، و بذلك تشكلت عقليته من خلال تلك المطالعات [1].

و كانت المقاهي تلعب دورا رئيسيا في ذلك الوقت في الحياة الثقافية الجزائرية حيث كانت ملتقى للأدباء و المفكرين ، و كانت هناك قهوة خارج المدرسة تسمى " ابن يمينة " لعبت دورا كبيرا في تكوينه إذ يقول : **<** كنت أعي في القهوة " ابن يمينة " آثار التمزق الفكري و العقائدي حيث كان فيها مناقشات و أحاديث حادة و مثيرة كان يغذيها التيار المدرسي ذو الثقافة الفرنسية التي تعطي المدارس الحكومية و التيار الباديسي **>**[2].

و كان مالك على اتصال بالصحف الإسلامية و غيرها التي كانت تنشرها الأحزاب السياسية آنذاك و منها : (الإنساني ، النضال ، الاجتماعي ، العصر الجديد ، الجمهوري ، و الإقدام و أم القرى ، صدى الصحراء و الشهاب ، و الشؤون العامة و الأمة) ، و كان مالك كثير المطالعة يستعيد الكتب من المكتبات الموجودة في مدينته و منها : (مكتبة النجاح ، مكتبة المدرسة) و مما قرأه كان له تأثير في تكوينه الثقافي في كتب " الفشل الأخلاقي في السياسة الغربية في الشرق " لمحمد رضا و " رسالة التوحيد " لمحمد عبده و "أم القرى " لعبد الرحمان الكواكبي ، و كتاب " الإسلام بين الحوت و الدب " لأوجنين يوغ و " في ظلال الإسلام الدافئة " لإيزابيل ابرهات ، و " مقدمة ابن خلدون " لابن خلدون و "كيف تفكر " لجون ديوي و " تاريخ الإنسانية الاجتماعي " لكورتلمون ، و بعد انتهاء مالك بن نبي من دراسته في الثانوية سافر إلى فرنسا بغرض الدراسة فيها ، و في عام 1930م سافر مرة

[1] مالك بن نبي ، مذكرات شاهد القرن الطفل ، المصدر السابق ، ص 105، 110 .

[2] المصدر نفسه ، ص 150 .

أخرى كي يدرس الحقوق في معهد الدراسات الشرقية و لكنه لم يوفق في دخول المعهد وهناك تعرف على جمعية اسمها الوحدة المسيحية للشبان الباريسيين فانتسب إليها و كان هو المسلم الوحيد فيها ، حيث تعرف على الوجه الثقافي ثم تعرف على الوجه التكنولوجي للحضارة الغربية من خلال متحف الفنون و الصناعات حيث درس الكيمياء التطبيقية فيه ، و أخيرا قرر مالك الالتحاق بمدرسة اللاسلكي لدراسة هندسة الكهرباء ، و كان تأثير هذه المدرسة عليه قد شكل منعطفا جديدا في حياته ، و واكب وجوده في فرنسا تأسيس مجموعة من طلبة شمال إفريقيا تسمى وحدة طلبة الشمال الإفريقي المسلمين و كان هو حلقة الوصل بين المجموعتين و أنشأت وحدة المسلمين مجلة شهرية كتب مقدمتها و وزعت منها نسخ كثيرة في فرنسا و الجزائر [1]، ثم بدأ يظهر من خلال الوحدة المغربية ، و حينئذ بدأ مالك بن نبي بإلقاء المحاضرات و كانت أول مقالة ألقاها بعنوان : " نحن المسلمون في فرنسا ديسمبر 1930م " حيث أدخل فيها مفاهيم فلسفية لتأثره منذ دراسته بالكتب الفلسفية ، و بدأ مشواره السياسي و أخذ الاستعمار الفرنسي يحاربه في عائلته حيث بدأوا يضايقون أباه في العمل ، و منها تم طرده منه [2].

و في هذه الظروف تعرف على شخصيات بارزة سياسية و ثقافية منها المستشرق الفرنسي " لويس ماسينيون " و تقابل مع " المهاتما غاندي " الزعيم الهندي سنة 1932م أثناء زيارته لفرنسا ، و تعرف على أفكار " شكيب أرسلان " الكاتب و الأديب اللبناني ، و التقى مع بعثة الأزهر بفرنسا و تعرف على أعضائها و خاصة على الشيخ " عبد الله دراز " الذي كتب له فيما بعد مقدمة أول كتبة " الظاهرة القرآنية " و كذلك تقابل مع زعماء الوفد الجزائري الذي زار باريس سنة 1936م بزعامة الشيخين : " عبد الحميد بن باديس و محمد

[1] مالك بن نبي ، مذكرات شاهد القرن طالب ، تر: مالك بن نبي ، دار الفكر ، ج2 ، ط1 ، بيروت 1970 ، ص 43،44 .

[2] المصدر نفسه ، ص 44 .

البشير الإبراهيمي " [1]، لكن الشخصية التي سيلتقي بها مالك بن نبي في باريس و يكون لها الأثر الواضح في توجهاته هو صديقه " حمودة بن الساعي " و يعترف مالك بأنه : **>** مدين لحمودة بن الساعي باتجاهه ككاتب متخصص في شؤون العالم الإسلامي **<**[2] .

و في فرنسا توجه إلى دراسة الفلسفة و علم الاجتماع و الهندسة في أحد المعاهد الباريسية عام 1935م و تخرج مهندس كهربائي ، و توجه مالك إلى القاهرة في عام 1956م و فيها بدأ نجمه يظهر و بدأ علماء الأزهر و المفكرون يتصلون به و قد تأثر بعضهم بفكره و بدأ يعيد صلته باللغة العربية و يلقي المحاضرات و الندوات الفكرية ، و قد أخذ مع بعض أصدقائه للتحضير لفكرة الثورة و كان يتحدث معهم في سيرة الثورة الجزائرية، و بعد نجاح الثورة لم يذهب إلى الجزائر في عهد الرئيس " بن بلة " حيث انتقد حكومته بقوله : **>** عهد الحكومة المؤقتة الجزائرية التي كانت تفرض على كل جزائري قانون الصمت**<**[3].

و في عهد " هواري بومدين " رجع إلى الجزائر و بذلك حقق كلمته عند خروجه حيث قال آنذاك : **>** يا أرض عقوق تطمعين الأجنبي و تتركين أبنائك للجوع إني لن أعود إليك إن لم تصبحي حرة **<** ، و عاد إليها بعدما أصبحت حرة بعام واحد فقط و ذلك عام 1963م ، و قد مر ماك بن نبي ببيروت 1971م ثم طرابلس و لبنان و مر بدمشق و هو قافل من رحلة الحج الأخيرة ليقف على منبرها الفكري و يلقي وصيته الأخيرة في رحاب مسجد الرباط و ألقى محاضرة بعنوان دور المسلم في الثلث الأخير من القرن العشرين [4].

---

[1] بن إبراهيم الطيب ، مواقف و أفكار مشتركة بين مالك بن نبي و ابن خلدون ، د.ط ، دار مداني ، الجزائر ، 2002 ، ص 37 .

[2] مالك بن نبي ، مذكرات شاهد القرن طالب ، المصدر السابق ، ص 235 .

[3] المصدر نفسه ، ص 90 .

[4] مالك بن نبي ، دور المسلم في الثلث الأخير من القران العشرين ، دار الفكر ، سوريا ، 1978م ، ص 7 .

ب/ أعماله :

بعد تخرجه من المدرسة الثانوية التي تؤهله للعمل عمل كاتب عدل في المحكمة الشرعية في منطقة أفلو [1] . ثم انتقل بعدها إلى محكمة الصلح بشلغوم العيد ولم يعجبه تسلط كاتب محكمة الصلح آنذاك فقدم استقالته ، ثم أصبح شريكا في مطحنة مع صهره ولم تنجح المطحنة ، وبعدها قرر السفر إلى فرنسا . في فرنسا انخرط في الأحزاب السياسية ، ثم أصبح رئيسا لنادي المؤتمر الجزائري الإسلامي للثقافة ولكن الفرنسيين أغلقوه بحجة أن مالك لا يملك شهادة تدريس وعمل بعدها في طباعة و توزيع الكتب العلمية المبسطة ، ثم انتقل إلى مصر و في القاهرة اتصل بالرئيس جمال عبد الناصر وخصصت له الحكومة المصرية راتبا شهريا مما ساعده على التفرغ للعمل الفكري [2] ، وقد عينه أنور السادات أمينا عاما للمؤتمر الإسلامي آنذاك مستشارا ، ثم انتقل إلى الجزائر عام 1963 م ، وعين مستشارا للتعليم العالي ثم مديرا لجامعة الجزائر ، ثم مديرا للتعليم العالي ولكنه استقال من منصبه عام 1967 م ليتفرغ للعمل الفكري و الإصلاحي .

ج/ مؤلفاته :

لقد كانت مؤلفات مالك بن نبي باللغة الفرنسية و أخرى باللغة العربية ، ثم ترجمت التي كتبها باللغة الفرنسية إلى العربية وله ما يربوا عن عشرين كتابا مطبوعا وكانت معظمها مطبوعة في القاهرة ، دمشق و الجزائر و له إحدى عشر كتابا لم يطبع بعد ، وتصنف كتبه حسب موضوعاتها ومنها :

[1] مالك بن نبي ، مذكرات شاهد القرن الطفل تر : القنواتي مروان ، دار الفكر ، ج1 ، ط1 ، بيروت ، 1969 م، ص 303 .

[2] أسعد السحمراني ، مالك بن نبي مفكر إصلاحيا ، ط1 ،دار النفائس ، بيروت ، 1986 م ، ص 17

1) الظاهرة القرآنية : قام بترجمته الدكتور عبد الصبور شاهين ، ونشر بدار القرآن الكريم و هو أول مؤلفاته مالك نبي أثناء إقامته بفرنسا سنة 1946 م ، وفيه كان مالك يدرس النبوة و أصول الإسلام وظاهرة الوحي وقضايا متعلقة بالقرآن الكريم [1] .

2) شروط النهضة : ونشر بدار الفكر عام 1960 ، ترجمة الدكتور عبد الصبور شاهين يعد من أهم مؤلفاته ، تناول فيه التاريخ و الحضارة و حركتها ، وما يتصل بهما من مركبات كالدين و الأخلاق و الثقافة .

3) ميلاد المجتمع : ونشر بدار الفكر عام 2000 م ، ترجمه الدكتور عبد الصبور شاهين ، عدد صفحاته 107صفحة ، إذ هذه الدراسة تشمل على منهجية المفاهيم النظرية والتي ترجع إليها العناصر الخاصة بميلاد المجتمع [2] .

4) مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي : ونشر بدار الدعوة عام 1970 م ، قام بترجمته محمد عبد العظيم علي ، عدد صفحاته 71 صفحة ، وطبعة أخرى ترجمت على يد الدكتور هشام بركة و الدكتور أحمد شعبو [3] .

5) مشكلة الثقافة : ونشر بدار الفكر عام 1984 م، الطبعة الرابعة ، وقام بترجمته الدكتور عبد الصبور شاهين ، عدد صفحاته 152 صفحة ، حيث تحدث فيه عن مفهوم الثقافة وعلاقتها بعلم الاجتماع وتوجيه الثقافة [4] .

6)إنتاج المستشرقين و أثره في الفكر الإسلامي الحديث : ونشر بمكتبة عمار بالقاهرة عام 1970 م ، وعدد صفحاته 62 صفحة .

7) آفاق جزائرية : ونشر بمكتبة عمار بالقاهرة ، الطبعة الثانية ، عام 1971 م.

---

[1] مالك بن نبي ، الظاهرة القرآنية ، تر : عبد الصبور شاهين ، دار القرآن الكريم ، الكويت 1978م.

[2] مالك بننبي ، ميلاد مجتمع ، تر : عبد الصبور شاهين ، دار الفكر ، سوريا ، 2006 م .

[3] مالك بن نبي ، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي ، تر ، محمد عبد العظيم علي ، دار الدعوة ، 1970 م .

[4] مالك بن نبي ، مشكلة الثقافة ، تر : عبد الصبور شاهين ، دار الفكر ، سوريا ، 1984 م.

8) المسلم في عالم الاقتصاد : ونشر بدار الفكر ، عام 1978 م، عدد صفحاته 111 صفحة.

9) بين الرشاد و التيه : ونشر بدار الفكر ، عام 1978م ، عدد صفحاته 174 صفحة وهو عبارة عن مجموعة مقالات جمعت وطبعت بعد وفاته سنة 1978 [1] .

10) وجهة العالم الإسلامي : ونشر بدار الفكر ، ترجمتها الدكتور عبد الصبور شاهين ، عام 1954 م ، عدد صفحاته 173 صفحة تناول فيه فوضى العالم الإسلامي وأزماته و محاولات نهضته ، ويعد هذا الكتاب آخر كتبه بفرنسا قبل أن ينتقل إلى مصر للإقامة بها .

11) فكرة كومنوليث إسلامي : ونشر بمكتبة عمار بالقاهرة ن الطبعة الأولى ، عام 1960 ، ونشرته أيضا دار الفكر الطبعة الثانية ، عام 1990 م ، وعدد صفحاته 94 صفحة .

12) دور المسلم و رسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين : و نشر بدار الفكر ، في كتاب واحد في بيروت ، عام 1977م ، و عدد صفحاته 62 صفحة .

13) في مهب المعركة : و هي عبارة عن مجموعة مقالات مكتوبة من طرف المفكر مالك بن نبي كتبها في باريس في نهاية الأربعينيات و بداية الخمسينيات ، و حينها لجأ إلى القاهرة عام 1956م و بدأ يترجم هذه المقالات و ينشرها باللغة العربية ، فكانت الطبعة الأولى عام 1961م ، و قد سمى هذه المقالات " في مهب المعركة " .

14) الصراع الفكري في البلاد المستعمرة : و نشر بدار الفكر عام 1960م ، و عدد صفحاته 127 صفحة .

15) فكرة الإفريقية الآسيوية في ضوء مؤتمر باندونغ : و نشر بدار الفكر بالقاهرة ، عام 1954م و عدد صفحاته 266 صفحة [2].

---

[1] عبد اللطيف عبادة ، صفحات مشرقة من فكر مالك بن نبي ، ط1 ، دار الشهاب ، باتنة ، 1984 ، ص 38 ، 39 .

[2] مالك بن نبي ، فكرة الإفريقية الآسيوية في ضوء مؤتمر باندونغ ، تر: عبد الصبور شاهين ، دار الفكر ، سوريا ، 2001م .

16) مذكرات شاهد القرن : و نشر بدار الفكر بيروت ، و يتكون من جزأين ، الجزء الأول بعنوان " الطفل " و قد ترجمه " مروان القنواتي " عام 1969م ، و الجزء الثاني بعنوان " الطالب " و قد ترجمه " مالك بن نبي " بنفسه عام 1970م ، و هو من حجم متوسط.[1]

17) المخطوطات : توجد مجموعة من كتب غير منشورة لمالك بن نبي ، و هي ما زالت مخطوطة بخط يده نذكر منها :

- خطاب مفتوح لخرتشوف و إيزنهاور .
- دولة مجتمع إسلامي .
- مذكرات شاهد القرن الثالث بعنوان الأستاذ .
- نموذج المنهج الثوري .
- المشكلة اليهودية .
- العفن .
- اليهودية أم النصرانية .
- دراسة حول النصرانية .
- مجالس دمشق .
- مجالس التفكير .[2]

المبحث الثاني : مصادره الفكرية

حاولت في هذا المبحث التطرق إلى مصادر فكر مالك بن نبي و مكونات شخصيته و التعريف بأبرز المحطات التي مرت بحياته ، و التي كان لها الفضل في وصوله إلى هذه الدرجة من العلم و المعرفة و هي على النحو التالي :

[1] مالك بن نبي ، مذكرات شاهد القرن الجزء الأول الطفل و الجزء الثاني الطالب ، تر: مروان القنواتي و مالك بن نبي نفسه ، 1969م-1970م .

[2] مالك بن نبي ، مذكرات شاهد القرن الطالب ، المصدر نفسه ، ص 66 .

المطلب الأول : الثقافة العربية

أ/ أثر القرآن و السنة :

1/ القرآن الكريم :

و يعد من أهم المصادر التي كونت شخصيته ، لأنه من أهم المفكرين المتأثرين بكتاب الله تعالى ، و هذا من خلال جميع مؤلفاته بحيث نجده يقتبس من القرآن الكريم في جميع مصادره ، و بناءا على طبيعة البحث نجد مالك بن نبي يذكر رمز التغيير لقوله تعالى:**{إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ}**[1]، و من هنا نجده ينادي المجتمع الجزائري و المجتمع الإسلامي لتغيير ما في المجتمعات العربية و النهوض بها من التخلف الذي تعيشه ، و يكون التغيير في جميع المجالات الاجتماعية و الاقتصادية ، الثقافية ، السياسية .... الخ ، و من هذه الآية يمكن القول بأن مالك بن نبي قد صوبها نحو فرد في المجتمع قصد الصلاح و التوفيق في بناء الحضارة و الثقافة .

2/ السنة النبوية :

و هي من بين المصادر التي اعتمدها مالك بن نبي ، مستدلا عن ذلك لقوله صلى الله عليه و سلم : " إذا مات الإنسان لا ينقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية أو عمل ينتفع به أو ولد صالح يدعو له " [2]، و من هذا الحديث النبوي تحدث عن الإنسان بغض النظر عن دينه أو قومه أو جيله ، و إن كل إنسان في العالم تجري عليه هذه السنة من حيث استفادة أجيال البشر مما تركه من صالح الأعمال و الأقوال التي بصمت عن فضل و صلاح ، كما الحديث عن العالم النافع الذي ينتفع به الناس ، و ينقلهم من الحسن إلى الأحسن أو من القبيح إلى المقبول و تجنب الخطايا في كل عمل إصلاحي ، و ينبغي جلب

---

[1] سورة الرعد ، الآية 11 .

[2] مالك بن نبي ، القضايا الكبرى ، دار الفكر ، ط1 ، دمشق ، 2000م ، ص 190 .

المصالح لعموم البشرية و دفع المفاسد عنها ، و ذلك بالقيام بواجب الشهود و الحضاري علة العالمين و جعل القواعد و الأصول منبسطة في عقول و إنجازات جميع الناس ، حيث يعتبر مالك بن نبي أن الإنسان خادما لوطنه و إنسانيته في بناء صرح حضارته و ما ينفعها.

ب/ أثر الأسرة و البيئة :

و نجد من مصادر فكره هي مدرسته الأولى جدته لأمه " الحاجة زليخة " التي كونت مداركه مستعملة أسلوب الأحاجي و سرد القصص له ، فشدت انتباهه و كان يبلغ من العمر السادسة أو السابعة من عمره ، و كانت تروي له رويات و تحكي له حكايات بحيث كانت تدور حول العمل الصالح و ما ينجز عنه من حسنات ، و العمل الطالح و ما يتبعه من سيئات و عقاب ، و من خلال ما قلنا يمكننا القول بأن جدته هي التي رسخت فيه فكرة القيم الحسنة و الأخلاق الرفيعة ، ذلك مصادر مالك الأسرية جده لأبيه كان له تأثير به و هو الكره الشديد للاستعمار الفرنسي و محاولة على إحباط كل محاولاته الاستيطانية ، و في هذا الشأن يقول مالك بن نبي : **<** كنت في السادسة أو السابعة من عمري ، كان وضع عائلتي قد ساء ماديا و جدي لأبي باع ما تبقى بحوزته من أملاك العائلة ، و هاجر الجزائر المستعمرة ليلجأ إلى طرابلس الغرب ... **>**[1]، و من هنا جده رسخ و حرص على تعبئته ضد الاستعمار و غرس فيه حب الوطن و الإخلاص له و التضحية من أجله ، أما عن والديه فقد حرصا على زرع معالم الدين الإسلامي فيه و تكوينه تكوينا إسلاميا ، " فأمه اضطرت ذات يوم و قد فقد الأب عمله أن تدفع لمعلم القرآن الكريم الذي يتولى تدريس ابنها بدل المال سريرها الخاص " [2].

---

[1] يوسف حسن ، نقد مالك بن نبي للفكر السياسي الغربي الحديث ، دار التنوير للنشر و التوزيع ، ط1 ، 2004م ، الجزائر ، ص 33-34 .

[2] المرجع نفسه ، ص 34 .

ج/ أثر المعلمين العرب :

1/ الشيخ عبد المجيد :

هو مدرس في معهد التكوين للمعلمين ، كان مالك بن بني يتلقى منه دروسا في قواعد اللغة و النحو و الصرف و الشعر ، و في عام 1920م أخذ منه أول أسس الثقافة العربية : **<** لقد تعلمت تصريف الأفعال و التمييز بينها و حفظت شيئا من الشعر **>**[1].

2/ الشيخ مولود بن موهوب :

هو مفتي مدينة قسنطينة ، و كان له النصيب الكبير في غرس حب الحركة الإصلاحية في قلب مالك بن بني **<** و قد تولى الشيخ مولود بن موهوب جذب أفكارنا و عقولنا إلى حظ تلك الحركة التقليدية ...**>**[2].

3/ الشيخ عابد :

و هو أستاذ العلوم الشريعة الإسلامية بالمعهد المذكور ، حيث تأثر به مالك بن نبي في دروس الفقه و اجتناب الوقوف في متاهات الفكر الغربي ، و خاصة مغريات علم النفس **<** مذكرا قويا يعود بروحي إلى الطريق الصحيح **>**[3].

---

[1] يوسف حسن ، نقد مالك بن نبي للفكر السياسي الغربي الحديث ، المرجع السابق ، ص 37 .

[2] المرجع نفسه ، ص 38 .

[3] المرجع نفسه ، ص 37 .

(*) محمد عبده : من قرية " محلة نصر " (بمحافظة البحيرة ، حافظ القرآن الكريم في سن لم يتجاوز ثلاثة عشر من عمره ، صلاح زكي أحمد ، أعلام النهضة العربية توفي 11 يوليو 1906م) و هو في السابعة و الخمسين من عمره ، (نقلا عن : الإسلامية في العصر الحديث ، ط1 ، القاهرة ، مركز الحضارة العربية ، 2001م ، ص 64-70)

(**) ابن خلدون : هو عبد الرحمان أبو زيد ولي الدين بن خلدون ، ولد 732هـ (27 مايو 1332م) بتونس في غزة رمضان ، من مؤلفاته : كتاب العبر (776-780هـ) نقلا عن : ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، تعليق علي عبد الواحد وافي ، ط4 ، مصر ، نهضة مصر ، 2006م ، الجزء الأول ، ص 29-100

د/ القراءات باللغة العربية :

لقد قرأ مالك بن نبي مجموعة من الكتب باللغة العربية نذكر منها :

- كتاب أحمد رضا بعنوان " الإفلاس المعنوي للسياسة الغربية في الشرق " .
- رسالة الشيخ لمحمد عبده (*).
- كتاب ابن خلدون (**) بعنوان " المقدمة " .
- كتاب للسعودي بعنوان " مروج الذهب "
- كتاب المنفلوطي بعنوان " النظرات و العبرات " [1].

هـ/ دور الصحف و المجلات في تكوين فكره :

لقد كان مالك بن نبي شغوف في قراءة الصحف و المجلات ، و كانت الصحف متنوعة منها من داخل البلاد و أخرى خارج الوطن ، نذكر منها :

- جريدة النجاح : ظهرت في قسنطينة قبل 1920م ، و قد اهتمت على إعلان الوفيات و الاحتفالات ، مكتوبة بأحرف عربية ، و كان هناك نوع من التحدي للإدارة الاستعمارية التي أرسلت سياستها على فرنسة البلاد .
- صحيفة المنتقد : ظهرت في قسنطينة بعد 1922م ، مع ظهور الصحافة المعبرة على الرأي العام ، إلا أنها احتجت و لم تظهر إلا فترة قصيرة ثم منعت الإدارة المحلية عن صدورها .
- جريدة الشؤون العامة : " قسنطينة " و هي جريدة ناطقة باللغة الفرنسية ، تهتم خاصة بما يجري في عمالة قسنطينة و لكنها تنقل إلى قرائها الأنباء الدولية [2].

[1] يوسف حسن ، نقد مالك بن نبي للفكر السياسي الغربي الحديث ، ص 43 .

[2] المرجع نفسه ، ص 47 .

- صحيفة الإقدام : و هي الصحيفة التي كان يصدرها الأمير خالد ، وضعت في فكر مالك بن نبي الحدود السياسية الدقيقة و كانت تفضح رجعية الإدارة المستعمرة و سوء استغلالها للسلطة .
- صحيفة الجمهورية : و هي بمثابة المنصة التي يهاجم منها رئيس قسنطينة ، الأمير خالد صاحب جريدة الإقدام .
- جريدة أم القرى : و هي جريدة التي أسسها الشيخ العقبي في مكة المكرمة ، و التي يعتقد مالك بن نبي أنها كانت عنصر وحيد للصحافة .
- مجلة الأخبار : و هي مجلة الأخبار الأدبية .
- مجلة كونفورانسيا : أثرت فيه من الناحية الأدبية حيث كانت تنشر الأشعار و خاصة الشعر الهندي .
- صحيفة الإنسانية : و هي صحيفة شيوعية فرنسية اختارها مالك بن نبي لقراءاته السياسية .
- مجلة الشهاب : و التي كان يصدرها الشيخ عبد الحميد بن باديس في قسنطينة ، حيث يذكر مالك بن نبي في شأنها أنه ادخل أول عدد لها إلى مدينة آفلو [1].
- صحيفة الراية : و التي كان يصدرها في مدينة عنابة و التي شاركت في حلبة الصراع بين الأمير خالد و رئيس بلدية قسنطينة .
- صحيفة صوت المساكين : و هي الصحيفة التي كان يقرؤها مالك بن نبي .
- جريدة العصر الجديدة : و هي صحيفة تونسية متخصصة في شؤون العالم الإسلامي .
- جريدة الزهرة : و هي صحيفة تونسية كانت تتولى العناية بالشؤون التونسية .

[1] يوسف حسن ، نقد مالك بن نبي للفكر السياسي الغربي الحديث ، المرجع السابق ، ص 48-49 .

- صحيفة الكفاح الاجتماعية : و هي صحيفة فرنسية كانت تأتي إلى الجزائر بصورة متقطعة .
- صحيفة صدى الصحراء : مؤسسها " الطيب العقبي " في مدينة بسكرة .
- صحيفة الأمة : و هي الصحيفة الناطقة باسم جمعية " نجم شمال إفريقيا " .
- صحيفة الأمة العربية : و هي الصحيفة التي كان يصدرها " شكيب أرسلان بجنيف " و كانت تصل بعض أعدادها إلى الجزائر [1].
- جريدة اتحاد النواب : و فيها نشر " فرحات عباس " مقاله المشهور " أنا فرنسا " .
- صحيفة باريس– سوار : و هي صحيفة مسائية تصدر بباريس .
- جريدة البرلمان : و هي الجريدة التي كانت تصدرها الهيئة المركزية لحزب الشعب الجزائري .
- جريدة البوتي باريسيان : و هي جريدة صباحية باريسية .
- جريدة الحزب الحر الدستوري : و هي جريدة تونسية ناطقة بالعربية .
- جريدة الدفاع : و هي جريدة كانت تصدر بالجزائر .
- صحيفة السنة : و هي الصحيفة التي أنشأها المرابطون قصد مواجهة رجال الإصلاح .
- جريدة الشاب المسلم : و هي التي صدرت في الجزائر و اختفت بعد الحرب العالمية الثانية .
- صحيفة صدى الحراكتة : و هي الصحيفة التي أنشئت بمدينة أم البواقي .
- جريدة صوت الأهلي : و كان يصدرها شخص اسمه ألزناتي .
- جريدة العمل الفرنسي : و كانت هذه الجريدة باللغة الفرنسية .
- جريدة قسنطينة : و هي صحيفة استعمارية فرنسية .

[1] يوسف حسن ، نقد مالك بن نبي للفكر السياسي الغربي الحديث ، المرجع السابق ،ص 50–51 .

- مجلة المغرب : و هي المجلة التي يصدرها المراكشيون بباريس .
- المجلة المصورة : و هي التي كانت كل الأسر الفرنسية ذات الشأن تطلع عليها .
- مجلة المعلمين الجزائريين : و هي مجلة جزائرية تصدر في الجزائر و تصل إلى باريس فيقرأها مالك بن نبي .
- جريدة الوفاق : كانت هذه الجريدة تصدر في قسنطينة ، و تصل إلى باريس ، فيقرأها مالك بن نبي مع أصحابه [1].

المطلب الثاني : الثقافة الغربية

و هنا تطرقت إلى أهم المؤثرات الغربية التي أثرت في فكر مالك بن نبي و نذكر منها ما يلي :

أ/ أثر المعلمين الفرنسيين :

1/ المعلم الفرنسي " مسيو مارتن Martin " :

و هو مدرس بمدرسة في قسنطينة ، كان له أثر كبير في تعليم مالك بن نبي التحكم بزمام اللغة الفرنسية < يثري تلاميذه بالمفردات و يطبع في نفوسهم الذوق و فن الكتابة ، و كان يقرأ أحيانا القطع الجيدة التي كتبها من هم أكبر منا و الذين قضوا في مدرسته أكثر من سنة >[2].

[1] يوسف حسن ، نقد مالك بن نبي للفكر السياسي الغربي الحديث ، المرجع السابق ، ص 53-54 .

[2] المرجع نفسه ، ص 39 .

2/ المعلم الفرنسي " بوبريتي Bobrlter " :

و هو مدرس تاريخ العصور القديمة بقسنطينة ، كان له دور في إرشاد مالك بن نبي إلى الكتب التي ينبغي أن يطالعها كان يعير الكتب و كان هذا حافزا له للانطلاق في قراءة المؤلفات في مختلف العلوم الفرنسية [1].

ب/ المناقشات باللغة الفرنسية :

1/ مناقشة داخل منظمة " الوحدة المسيحية للشبان الباريسيين " :

يذكر مالك بن نبي أنه قد انتسب لهذه المنظمة و لم يكن بالأمر الهين ، لأن في الوحدة المسيحية للشبان الباريسيين تدور المناقشات حول المقارنة بين الأديان و خاصة الدين الإسلامي و المسيحي [2].

2/ مناقشات مع أسرة يهودية :

< و عقد مالك بن نبي بمدرسة اللاسلكي بباريس صداقة مع شاب يهودي ، و كان يعود إلى بيته ، و يقر مالك بأنه أتيح لي من خلال تلك الزيارات فكرة أقرب للواقع عن المشكلة اليهودية في العالم **>**[3]، مالك بن نبي استفاد من هذه النقطة في تكوينه من خلال الثقافتين العربية الإسلامية التي غرست فيه روح الصالة العربية و الثقافة الغربية التي أكسبته روح المعاصرة و الإطلاع إلى ما هو أبعد من ثقافته الأصلية .

---

[1] يوسف حسن ، نقد مالك بن نبي للفكر السياسي الغربي الحديث ، المرجع السابق ، ص 40 .

[2] المرجع نفسه ، ص 61 .

[3] المرجع نفسه ، ص 63 .

خلاصة الفصل :

نستخلص أن مالك بن نبي من بين المفكرين الجزائريين المسلمين ، و قد سخر قلمه و روحه و حياته لخدمة القضية العربية الإسلامية ، كما أراد النهوض بها و إخراجها من قوقعة التخلف الذي كانت تتخبط فيه ، و الذي دام لقرون ، كما أنه حافظ على شخصته و انتمائه إلى بلد عربي إسلامي جزائري ، بالإضافة إلى أنه قد عانى من الصدام الذي وقع بين المجتمع الأوروبي المادي و المجتمع العربي الإسلامي ، إلا أن معاناته أثرت عليه نفسيا و فكريا باعتبار مفكرا مثقفا يغار على أمته و دينه ، إلا أنه واجه ذلك و حاول النهوض بهذه الأمة إلى الأمام و الأفضل ، محاولا حل المشكلات التي عاشها و عاصرها مجتمعه وصولا إلى مجتمع حضاري و ثقافي ، و أما عن إنتاجه الفكري فقد كان حافلا بالثقافات المتنوعة العربية و الغربية بالإضافة إلى الكتب المتنوعة و المفيدة التي كان لها الأثر الكبير في تكوين شخصيته و بلورة فكرة .

الفصل الثاني : الأصول الفلسفية لفكرة التاريخ

المبحث الأول : تفسير فكرة التاريخ

المطلب الأول : فكرة التاريخ عند هيجل

يعتبر هيجل من الفلاسفة التابعين للمثالية الكانطية (*)[1] ، فثمة حلقة متصلة من كانط ففيخته فشلنج فهيجل و لكن هذا التصور لمكانة هيجل بين هؤلاء يبدوا تصورا زائفا إذا الواقع أن هيجل ليس الحلقة الأخيرة في السلسلة ، بل يقوم مذهبة مستقلا عن المذاهب الأخرى و لا يشترك معها إلا في قليل من الصفات ، ثم إنه تأثر خصوصا بالنزعة الطبيعية اليونانية بمدرسة التنوير التي سادت في القرن الثامن عشر و اتصل بكلتا الحركتين عبر كانط و المثالية الألمانية عموما ، و يمكن تلخيص مميزات الفلسفة الهيجلية في النقاط التالية :

أ/ العقل أو الروح :

هو الحقيقة النهائية و أساس الحقائق جميعا ، و لا يبلغ مرتبة إدراك نفسه إدراكا كاملا إلا إذا اجتاز عدة مراحل سابقة و استوعبها في نفسه ، و الحقيقة و الفكر لفظان لهما مدلول واحد ، و بذلك تصبح الفكرة و الشيء الواقعي حقيقة واحدة و تصبح الحقائق الواقعة تعبيرا عن الفكرة و هي التي تكشف عنها .

ب/ الفكر عند هيجل :

وحدة عضوية ذات أجزاء منفصلة و لكنها في الوقت نفسه متصلة فالكل ممثل في كل جزء ، كما أن كل جزء موجود في الكل و مراتب الفكر ، إذن أجزاء متفاوتة من مجموع الحقيقة و لا يعرف منطق الوجود تعاقبا في الأفكار بين السابق و اللاحق بل أن كل فكرة تتضمن الأخرى ، و من ثم يصبح التاريخ هو تجلي الحقيقة المطلقة التي لا ينقطع وجودها.

(*) الكانطية نسبة إلى الفيلسوف الألماني كانط 1804م .

ج/ وحدة الفكر :

إنما هي " وحدة بين أضداد " في الحياة العادية و للعقل العادي أيضا ، و يعني هيجل بذلك أن العقل العادي يتوهم أن أجزاء الكل متناقضة متعارضة لا اتساق بينها و لا انسجام ، و هو يقع في هذا الخطأ لأنه يرى الجزء و يعتقد أنه الكل في حد ذاته ... [1].

و على ذلك يصبح المطلق هو وحدة الأطراف المتناقضة في وحدة شاملة كما يصبح الأساس الأول الذي يوصلنا إلى الحقيقة هو الاعتراف باتحاد الأضداد و انسجامها ، فكل إثبات يتضمن نفيا و كل نفي يتضمن إثباتا .

❖ **االديالكتيك عند هيجل :**

إن الديالكتيك عند هيجل يرتبط ارتباطا وثيقا بفكرة العقل فهو يبين طبيعة العقل و ماهيته، أو هو حوار العقل مع نفسه ، و هو يحدد في مواضع عديدة ما يقصد بالمنهج الديالكتيكي و خلاصته أنه نمو أو تطور الفكر يجري من الوضع إلى السلب إلى التأليف بينهما ، أي على أساس هذه النقاط الثلاث من الموضوع إلى نقيضه ثم إلى المؤلف بينهما أي مركب الموضوع و في هذا يقول : **<** إن السير الديالكتيكي كما نفهمه هو إدراك التعارض في الوحدة ، أو إدراك الموجب في السالب ، و هذا السلوك هو سلوك الفكر النظري **>** ، و يقول في موضع آخر : **<** أطلق كلمة ديالكتيك على المبدأ المحرك للتصور من حيث أنه ليس فقط يحل بجزيئيات الكل بل و أيضا هو الذي يحدها **>** ، و اللفظ ديالكتيك لا يعني أن موضوعا أو قضية أو شيئا معطى للشعور أو العاطفة أو الوعي المباشر ينحل و يختلط من أجل أن نشتق منه مضادات ، فهذا هو الديالكتيك السلبي ، كما نجده عند أفلاطون و هو أمر يمكن أن يدرك على نحو ما أدركه الشكاك القدماء على أنه تناقض أو يدرك على النحو الفاسد الذي أدركه عليه المحدثون أي على أنه اقتراب من

[1] الأخضر شريط ، مشكلة التاريخ عند مالك بن نبي ، مقال من رسالة لنيل شهادة الماجستير ، معهد الفلسفة ، 1988م-1989م ، ص 16-17 .

الحقيقة ، بينما الديالكتيك العالي للتصور فحواه إدراك التحدد ليس فقط على أنه حد و مضاد ، بل أيضا على أنه يخرج من ذاته محتوى و نتيجة إيجابيين ، و على هذا فالديالكيتك ليس نشاطا ذاتيا لفكرة خارجية ، بل هو عينة روح المحتوى الذي ينتج عضويا فروعه و شعاره أنه الفكرة التي تنمو بفضل نشاط العقل الخالص ، و هذه الحركة الثلاثية ليست قاصرة على الفكر بل إنها تتناول العالم بأسره و كل ما هو موجود في العالم من تاريخ و طبيعة و فلسفة و دين و سياسة [1].

❖ **فلسفة المطلق عند هيجل :**

يقول هيجل في تعريف المطلق بأنه الروح ، و استكشاف تلك الروح و فهمها هو الغرض من كل فلسفة و كل ثقافة ، و يرى هيجل أن إدراك الإنسان للكون يتحتم عليه أن يبحث عن تعليل للكون ، و هو يرفض إدراكنا للعالم عن طريق التصوف و إلهام البصيرة ، و يرى أن الوسيلة الوحيدة لإدراك الكون هي انتقالنا من مراتب العقل الدنيا إلى مراتبه العليا، و لا تستطيع الفلسفة أن تنتقل من النهائي إلى اللانهائي دون أن تعترف بنقطة البداية ، يقول هيجل في كتابه فلسفة الحق : < إن ما هو عقلي حقيقي و ما هو حقيقي عقلي > ، و هذه العبارة هي مفتاح فلسفته ، فالحقيقة كلها تعبر عن العقل و الكون كله يحقق وجود الفكر، لقد كان المطلق في أول أمره فكرة خاصة أزلية ثم عبد إلى الطبيعة حيث تحول إلى لا شعور ، ثم عاد فاستيقظ في الإنسان ، ثم أخذ يحقق نفسه فيما ينشأ في العالم .

❖ **المجتمع :**

إن اتساع الأسرة ، وصفه انتقالا من الأسرة ذاتها إلى مبدأ آخر هو في الوجود تارة مجرد نمو و هذا الوجود في شعب أو أمة ، و هي بالتالي أصل طبيعي مشترك ، و هو تارة أخرى تجمع جماعات أسرية مشتتة إما بقدر سيد أو بالقبول الحر ، و تدخل تحت هذا

[1] الأخضر شريط ، مشكلة التاريخ عند مالك بن نبي ، المرجع السابق ، ص 17-18 .

الاتحاد الحاجات التي تربط كل جماعة بالجماعة الأخرى و العمل المتبادل الذي ترضى به كل واحدة .

و الناس يدخلون في علاقات اجتماعية متنوعة ، و يشكلون جماعات و منظمات و يقيمون مؤسسات سياسية مختلفة من الأسرة إلى المجتمع إلى الدولة قبل أن تظهر الفلسفة ، و هم لا ينتظرون ظهور الفلسفة لتعلمهم كيف يقيمون النظم السياسية أو كيف تبنى الدول ، إن الفلسفة تأتي لتجد أن الواقع الاجتماعي قد اكتمل بناؤه ، و هي عندما تعبر عن هذا الواقع في صورة مذهب فلسفي فهي إنما تعبر عن الأفكار السائدة التي تعتبر محاور سياسية يرتكز عليها بناء المجتمع ، فمهمة الفلسفة إذا هي الكشف عن الأفكار الأساسية أو الركائز العقلية التي يقوم عليها هذا البناء [1].

❖ **الدولة :**

الدولة هي الجوهر الاجتماعي الذي وصل إلى الشعور بذاته ، و هي تجمع في ذاتها بيم مبدأ الأسرة و مبدأ المجتمع المدني ، و الوحدة التي توجد في الأسرة على أنها شعور بالمحبة هي جوهرها ، لكن الجوهر هنا ارتفع من خلال المبدأ الثاني أي من خلال الإرادة الجرة العاقلة إلى ما هو كلي .

و يقول في موضع آخر: < الدولة هي تحقيق الفكرة الأخلاقية ، و الروح الأخلاقية هي الإرادة الظاهرة المتميزة الجوهرية التي تعقل ذاتها ، و الدولة هي التي تحقق الحرية العينية ، و بما أن الحرية هي جوهر العقل ، و الدولة الجانب الموضوعي للعقل ، فإن الحرية هي جوهر الدولة > ، و يضيف هيجل : < إن الدولة هي واقعية الحرية في هذه الحالة فإن الحرية تقوم على الفردية تتعلق بها من مصالح تتلقى نموها و حقوقها بذاتها و هذا في إطار الأسرة و التنظيمات الاجتماعية المدنية ، و إنها أي الفردية من تلقاء ذاتها و

[1] الأخضر شريط ،مشكلة التاريخ عند مالك بن نبي ، مرجع سابق ، ص 18-19 .

بدون توجيه تقوم بالإندماج في المصلحة العامة و ذلك لأن هذه المصلحة العامة هي روح الدولة و هدفها النهائي و نتيجة لهذا فإنه لا معنى للكلي و الذي هو مجموع الأفراد و لا قيمة من دون وعي و إرادة هؤلاء الأفراد له ، ففعالية الأفراد و إرادتهم الواعية له هي مصدر قيمته .

❖ فكرة الحرية عند هيجل :

لا يمكن أن نتطرق في أي حال من الأحوال لفلسفة هيجل السياسية دون أن تتعرض بتفسير نظريته في الحرية ، إن الحرية عنده جوهر الروح ، فكما أن جوهر المادة هو الثقل فكذلك الحرية هي جوهر الروح بل ماهيتها ، و إننا نشعر شعور مباشر بأن الحرية هي في مقدمة السمات التي تتميز بها الروح إن لم نقل بأنها الصفة الأولى التي تتمتع بها الذات ، و لكن الفلسفة تعلمنا أن كل الصفات التي تمتلكها الذات إنما تقوم أو لا و قبل كل شيء على صفة الحرية ، و تبعا لذلك فإن محور الأساس و الذي ترتكز عليه الفلسفة النظرية أو التأملية كلها إنما هو مفهوم الحرية [1].

❖ الدولة غاية التاريخ الهيجلي :

تمثل الدولة غاية التاريخ عند هيجل و ذلك بتجلي فكرة المطلق فيها ، و مع ذلك فهي نتاج تطور من الأسرة فالمجتمع المدني فالدولة ، هذا الطريق الطويل في التقدم يمثل كله وقائع التاريخ ، و لنصل إلى الدولة علينا أن نكشف بقدر الإمكان كلا من الأسرة و المجتمع المدني ، فما هي الأسرة عند هيجل ؟

* الأسرة عند هيجل :

ينطلق هيجل من الأسرة التي يعتبرها المنظومة الأولى ، و الجذر الأخلاقي للدولة ، و يرى كذلك أن المجتمع المدني هو أحد مظاهر الدولة ، فيما تكون الأسرة هي المظهر

[1] الأخضر شريط ،مشكلة التاريخ عند مالك بن نبي ، المرجع السابق ، ص 19-21 .

الآخر ، أي أن المجتمع المدني عند هيجل هو تقسيم العمل بين الأسرة و هي الشكل البسيط للخلية الاجتماعية و بين الدولة و هي الشكل الأعلى و الأرقى .

و تنقسم الأسرة بصورة طبيعية و جوهرية ، وفقا لمبدأ الشخصية إلى عدد من الأسر التي تتصرف عفويا كما يتصرف الأشخاص المستقلين و تكون نتيجة ذلك في علاقة خارجية فيما بينها ، و بتعبير آخر فإن ما يربط الأسرة بوصفها معنى أخلاقي هم كائنات روحية و هي ذواتهم ، للوصول إلى الفكرة الشاملة فيه ، و هي الكلية و الموضوعية ، و الدولة بوصفها روحا لا يمكن أن تكون إلا بمثابة أشكال من النشاط الخاصة تصدر عن نفس الفكرة الخاصة بالحقوق ، و التشريع هو التوزيع العضوي لقوة الدولة و هو الذي يتضمن التعيينات التي وفقا لإدارة العقل لا توجد في الأفراد إلا على سبيل إلا مكان و القوة لكنها عن طريق التشريع تصل إلى الشعور و الوعي بذاتها .

و يوجد هيجل في الدولة الكائن الاجتماعي الأكبر ، و يرى أن الإنسان لا يصل إلى الحرية الحقيقية إلا عن طريق الدولة ، و كذلك أن وظيفة الدولة هي في عملية خلق التوافق الاجتماعي بين الطبقات المتنازعة ، و أن غاية التاريخ هي الدولة و غاية الدولة الحرية ، و لا حرية بدون دولة ، و تشكل المؤسسات أو الدستور القاعدة الثابتة للدولة ، كما تشكل في الوقت نفسه ثقة الأفراد و مشاعرهم المدنية أيضا ، و هذا يدل على توفر دعائم الحرية العامة لأن الحرية الخاصة تكون بها محققة في الواقع و عقلية في الوقت نفسه .[1]

❖ التاريخ الكلي حسب هيجل :

إذا كان التاريخ هو تصاعد الفكرة الأولى الأساسية نحو الفكر الكلي ، فما هو جوهر التاريخ حسب هيجل ؟

[1] الأخضر شريط ،مشكلة التاريخ عند مالك بن نبي ، المرجع السابق ، ص 21 .

كل ما كتبه هيجل عن التاريخ الكوني يقوم على إبراز العقل عاملا بصورة متصاعدة في الأحداث التي ليس فيها أي حدث عارض بل كل شيء مدموج في حياة الفكر و من هنا كان تاريخ هيجل هو تاريخ العقل ، فهو المحكمة العليا و دور الفيلسوف هو البحث عن سبب الأحداث ذلك أن كل الواقع هو تموضع العقل ، لكن السؤال المطروح هو ما هو هدف التاريخ حسب هيجل ؟ يرى هيجل أن العقل العامل في التاريخ يصل إلى غايته بواسطة حيلة فهو يستخدم أهواء الناس هؤلاء الذين يتبعون مصلحتهم و يحققونها و لكنهم بذات الوقت يحققون غاية أبعد ، متأصلة و إن كانوا لا يعونها ، و لا هي في قصدهم و هذه الغاية هي الحرية التي هي ماهية الروح و معدن التاريخ و لهذا نرى أن هيجل ضحى بالحضارات الشرقية القديمة و القبائل الأمريكية و الإفريقية في ترتيبه العام للتاريخ الكوني ذلك أن الحرية لم تتحقق إلا عند الإغريقيين الأحرار ، و لكن بالرغم من احتلال الفكر الإغريقي و العالم الإغريقي بمركز تاريخ هيجل عن الحرية إلا أنه لم يبلغ إلا سنين المراهقة في تصور هيجل لحرية الفكر و يعود الفضل إلى المسيحية التي حطمت الشمولية الجمالية للحضارة القديمة ، و وحدت مقولتا الخاص و العام في وعي المواطن ، و بذلك دفعت تقدما كبيرا في مجال الحرية فهل الفكر العامل في التاريخ هو ذو صبغة فردية أو شعبية ؟

الفكر في التاريخ الكوني عند هيجل هو الفكر القومي ، و يقول هيجل يمثل الفكر القومي تماما المفهوم الأعلى الذي كونه هذا الفكر عن ذاته ، لكن هذه المرحلة معرفة للتجاوز عند خمود الفكر الناشط ، فتحل لحظة العدم السياسي و الملل فيندثر الفكر القومي دون أن يموت و ينتقل من القوة إلى الفعل يتفعل دون أن يفنى غير أنه يترك المجال إلى شعب آخر و كل شعب لا تحين فرصته إلا مرة واحدة ... ، و بهذا يبرر هيجل الحروب بين الشعوب و فتح المجال إلى التاريخ الكوني أي المحكمة العليا .[1]

[1] الأخضر شريط ، مشكلة التاريخ عند مالك بن نبي ،المرجع السابق ، ص 23 .

رأينا كيف أن فكرة هيجل عن التاريخ مبنية أساسا على ما يسميه بالمنطق الجدلي و هو ما أجمع النقاد على تسميته بالمثالية الديالكتيكية و رأينا كيف أن العقل يتجلى في أسمى مظاهره في التاريخ أي حينما يتحقق من تطور الأسرة إلى المجتمع المدني ، فالدولة التي ترمز في نظر هيجل إلى العلاقة الموجودة بين عالم السياسة و المجتمع من جهة و التاريخ من جهة أخرى ، حيث تتجلى بالطبع فكرة المطلق ، و كيف أن المطلق في نظر هيجل لا يمثل سوى سير فكرة الروح عبر مراحل تاريخية ما و مع كل هذا فلقد تم توجيه بعض الانتقادات من طرف النقاد و المتمثلة في التالي :

1) بالنسبة للمنطق الجدلي الذي بنى عليه هيجل فكرته عن التاريخ ، صحيح أن كل شيء مدين بوجوده إلى نقيضه ، و أن هناك صراعا أبديا بين الميول و الاتجاهات المتضاربة ، و بأنه حين يحقق نظام اجتماعي ما كل ما فيه يبدأ بالانحلال ، و تتولد من باطنة نفسه قوى تحطمه تماما و تقيم أنظمة جديدة على أنقاضه ، و لكن هيجل يتوسع فيما يدعيه أكثر مما يجب ، إنه يعتقد أن هناك صراعا دائما و توفيقا ين النقائض و أن الموحد يحتوي على العناصر التي لا تزال فعالة من كل الفرضية و نقيضها و يقربنا خطوة واحدة من الحقيقة [1].

2) ثم إن هيجل لا يفرق بين ما هو نقيض و ما هو واضح متميز ، يقول كروجة بهذا الشأن " من ذا يستطيع أن يقنع نفسه بأن الدين هو عدم وجود الفن و أن الدين و الفن ما هما إلا تجريديان ليست لهما حقيقة إلا في الفلسفة ، موحد الاثنين أو أن الروح العملية هي نفي الروح النظرية ، و أن المحسوس نفي للحدس ، و أن المجتمع المدني نفي للحقوق و أما السلوك الخلقي نفي للحقوق و أن كل هذه التصورات لا يمكن التفكير فيها خارج نطاق

[1] عبد الحميد صديقي ، تفسير التاريخ ، تر : كاظم الجوادي ، الدار الكويتية للطباعة و النشر ، د ت ، ص 68 .

موحدها الذي هو الروح الحرة ، و الفكرة و النزعة الأخلاقية للدولة بنفس الطريقة كالوجود و عدمه التي لا تصدق إلا بالصيرورة فقط [1].

3) و أما قول هيجل بأن النقيض لا ينفي إلا النواحي الناقصة من الفرضية فإنه يؤدي إلى سؤفهم آخر ، إن هذه الفكرة تجعل المرء يستنتج أن الصراع بين المتناقضات منطقي تماما و تقدر على إنجازه الحكمة الواعية التي يتمتع بها الأفراد ، إلا أن هيجل على العكس من ذلك يقول أن الأفراد ليس لهم في الخطوط العريضة من التطور التاريخي إلا معلومات بسيطة جدا عما يقومون به فعلا ، إذ أنهم كلهم مجرد أدوات ، و ليسوا سادة هذه الصيرورة التاريخية فهذه الصيرورة صيرورة لا شعورية بالنسبة للأفراد .

4) إن الصيرورة الديالكتيكية التي جاء بها هيجل قد علمت الناس عبادة القوة و قد ساند هو نفسه كل رجل ارتقى عرش السلطان ، و حين حاول نابليون بجيشه أن يدخل العلاقات البرجوازية إلى ألمانيا ، كان هيجل الذي كان في ذلك الوقت يضع أسلوبه الديالكتيكي ، يتجاوب مع الثورة الفرنسية و رحب بدخول نابليون إلى (ينا) باعتباره التجسيد التاريخي لشكل جديد للروح المطلقة ثم أطلق على نابليون (الروح المطلقة على جواد أشهب) ، و لكن بعد عشرين سنة حين تضاعفت قوى الحكم الملكي الإقطاعي في ألمانيا و الذي كان على رأسه فريدريك وليام الثالث ، كان هيجل قد فقد أفكاره الثورية و أصبح فيلسوف الدولة في مملكة بروسيا ، و نريد أن ننظر إلى آخر الأمر في نظرية هيجل عن الدولة فيقول : < أنه كما يعلم يعتقد بأن الانفصال شيء لا وجود له في عالم الحقيقة ، فالعالم كما يتصوره ليس مجموعة وحدات صلبة ، ذرات أو أرواح كل منها قائمة بذاتها تماما.[2]

[1] عبد الحميد صديقي ، المرجع السابق ، ص 68-69 .

[2] المرجع نفسه ، ص 78-79 .

المطلب الثاني : فكرة التاريخ عند كارل ماركس

يقول كارل ماركس في كتابة نقد الاقتصاد السياسي : < يجب علينا أن نعمل على تغيير التاريخ بدلا من أن نركن إلى تفسيره ، و هو يعني من كلامه هذا أن تاريخ البشرية لا زال قائما على نظريات تفسره و تشكل الأفلاطونية حجر الأساس لهذا التفسير ، تلك الأفلاطونية التي زعم هيجل أنه و بإنكاره للمنهج الجدلي قد نفض عليها الغبار ، و لكن في الحقيقة ما فعله هيجل رغم ابتكاره هذا أنه قطف ثمرة الأفلاطونية حسب تعبير كارل ماركس، و كان على هيجل أن يعيد النظر في الفكرة من أساسها أي بمعنى أن لا يتمسك بقانون التصاعد الذي كشف عنه أفلاطون ، بل عليه أن يقول بأن فكرة التصاعد لم تعد صالحة خصوصا و أن الفكرة تناولت من وجهة نظر فردية و كان عليها أن تتناول من وجهة نظر اجتماعية ، و من هنا بقي في نظر كارل ماركس أن كل ما فعلته النظريات السابقة و هيجل على رأسهم هو أن أصحابها يفسرون الفكرة الأفلاطونية بمناهج جديدة ، هذا الكلام أو ما شابهه نجده في الكتاب الذي مهد به كارل ماركس لأهم أفكاره و هو كتاب " نقد الدولة الهيجلية " ، و عندما يفرغ كارل ماركس من نقده لفكرة التاريخ عند هيجل يحاول أن يقدم لنا الفكرة في قالبها الجديد و هي التي تتمثل في التالي :

تقوم فكرة التاريخ على تصور عام لتاريخ البشرية تفترض فيه أن هذا التاريخ قام على أساس مراحل و هذه المراحل هي نفسها التي أسسها " أوغست كونت " و الاختلاف في نقطة الانطلاق كان أولها المرحلة " المشاعية " البدائية و هي تلك المرحلة التي ساد فيها الانتخاب الطبيعي ، أي هي المرحلة التي أهلت الإنسان لأن يعيش مع الطبيعة و يتوافق معها ، لا شيء غير الإنسان الأول و أدواته و الطبيعة و كل ما حصل من تكاثر لهذا الإنسان الأول ، و كان هذا المجتمع الأول يعيش على الصيد [1]، و على الثمار التي يجدها في الطبيعة إن الطبيعة وفرت هذا الحق الطبيعي ، ثم انتقل المجتمع فيما بعد إلى مجتمع

[1] الأخضر شريط ، مشكلة التاريخ عند مالك بن نبي ، المرجع السابق ، ص27 .

زراعي ، و يرى كارل ماركس أن هذا التطور إنما حصل في أساسه عندما تطورت وسائل الإنتاج و قوى الإنتاج ، أي عندما استطاع الإنسان أن يجد أدواته الزراعية من الخشب أو الحجز ، بمعنى على أيام العصر الذي وصفوه بالعصر الحجري الذي ظهر نتيجة لتطور كما قلنا في وسائل الإنتاج أي الأداة و قوى الإنتاج أي الإنسان في ذلك الوقت ، و نتيجة للصراع الذي كان بين المالك و بين المملوك كان هناك عصر آخر عرف بعصر الرق (العبيد) ، كان السيد يملك و العبد لا يملك من قوة الإنتاج سوى عرقه ، و هكذا توسعت رقعة طبقة الرقيق حتى أنها أخذت بزمام الأراضي الكبرى الصالحة للزراعة من يد ذاك السيد لتتحول بها إلى الملكية الجماعية و دائما نتيجة لتطو وسائل الإنتاج من جهة و قوى الإنتاج ، حصل و أن الملاكين الصغار ، أصبحوا ملاكين كبارا فعملوا في عهد الثورة الصناعية على إيجاد أسواق لهم داخل و خارج أوروبا ، و فعلا هنا تحول المجتمع من مجتمع المزارعين إلى الحرفيين أو أصحاب الصنائع ، و لنفس السبب .

و يعمل عامل تراكم رؤوس الأموال من جهة و عامل التنافس ، و عامل الاحتكار من جهة أخرى على توفير قاعدة جديدة ظهرت نتيجة تقلص الحرفيين و أصحاب الصنائع بسبب العوامل السالفة الذكر ، فحصل و أن وجدت النخبة من هذه الطبقة و التي هي نخبة البورجوازيين ، فالبورجوازية أيضا ساعدتها على الظهور جملة عوامل أهمها :

التطور الذي حصل في وسائل الإنتاج و في قوى الإنتاج ، و أيضا عاملا " الاحتكار" و " التنافس " ، و لكن هذه البورجوازية على حد قول كارل ماركس نفسه تحمل بذور فنائها بيدها [1]، و عندئذ حسب ماركس فإن المجتمع يتحول من البورجوازية إلى الإشتراكية ، بتعبير آخر لما تتسع الطبقة الشغلية أو البروليتاريا فإنها تمتص البورجوازيين ، و تستولي على زمام الأمور في الحكم أي لما تتسلط البروليتاريا لتمتع جميع الحقوق التي

[1] كارل ماركس ، فريد ريك أنجلر ، البيان الشيوعي ، دار الطليعة ، بيروت ، لبنان ، دون تاريخ ، ص 15 .

تنازل عليها البورجوازيون قسرا و عن طريق القوة بسبب حكم البروليتاريا [1] ، فالاشتراكية تتحقق فيها جملة مبادئ منها " لكل حسب عمله و لكل حسب حاجته " [2]، و يصبح إذا المجتمع الاشتراكي تسوده المساواة و العدالة الاجتماعية بحيث يزول استغلال الإنسان للإنسان الذي كان في الرأسمالية و في الاشتراكية تزول كل العقبات التي عملت عبر القرون على تخلف الإنسان و منها عقبة الاحتكار و عقبة التنافس ، لأنه في ظل الاشتراكية تتحقق العدالة الاجتماعية بفضل التوزيع العادل و المحكم ، و مع أن الاشتراكية هي مرحلة تكون فيها وسائل الإنتاج ملكية جماعية و حتى قوى الإنتاج تتحول إلى ملكية جماعية ، و رغم انصهار الفردية إلا أن المجتمع الاشتراكي يهدف إلى تحقيق و إلى العودة إلى المشاعية فعندئذ تأتي المرحلة الشيوعية و هي آخر مرحلة يتحقق فيها الفردوس الأرضي ، و تصبح القاعدة المعمول بها : **<** لكل حسب حاجته و لكل حسب طاقته **>** ، و من هنا تصبح وسائل الإنتاج ملكية جماعية و تصبح الفوارق الاجتماعية غير معترف بها في هذا النموذج الاجتماعي ، إنه فعلا نموذج المجتمع الذي تحلم به الاشتراكية حاليا ، من غير الممكن أن نتعرف على النظرة الماركسية في التاريخ ، إذا لم تتفحص مفهوم المادية الديالكتيكية ، فحسب رأي مجموعة من الأساتذة السوفيات أنه لا بد من معرفة الأسباب و القوانين التي تسير التاريخ فيقولون : " فإن عرفنا الأسباب و عثرنا عليها أمكننا خلق الظواهر التي يريدها المجتمع أو عرقلت نشوء الظواهر الضارة به ، أو غير المرغوب فيها ، و النضال ضدها"[3].

إذا من الواضح أن المفهوم الماركسي للتاريخ ، هو قبل كل شيء لعلية الواقع ، و بتعبير آخر هو إدراك لانعكاس الموضوع و الذي هو الواقع الاجتماعي بوقائعه الاقتصادية خاصة و مدى تأثيراتها ، لكن فعالية التاريخ منطق باطني أمام العلوم الطبيعية فلا باطن

---

[1] الأخضر شريط ، مشكلة التاريخ عند مالك بن نبي ، المرجع السابق ، ص 28 .

[2] كارل ماركس ، نقد الاقتصاد السياسي ، دار الطبيعة ، بيروت لبنان ، بدون تاريخ ، ص 206 .

[3] جماعة الأساتذة السوفيات ، المادية الديالكتيكية ، فؤاد مرعي و آخرين ، دار الجماهير ، دمشق ، ص 193 .

لظواهرها ، و من ثم كانت العلة ترتبط بالمعلول فيها ، علاقة ظاهرية فضلا عن إفادتها الحتمية ، إن واقع التاريخ يتصل بالإنسان الذي ينعم بالحرية و لا يخضع لمنطق الحتمية [1].

و في رأي أنجلز في كتابه الاشتراكية الطوياوية و الاشتراكية العلمية " أن الإنتاج و العلاقات و كل العلاقات الاقتصادية لا يمثلون سوى عناوين لتاريخ الحضارة " [2]، و من هذا المنطلق فإن التاريخ في رأي أنجلز " لا يمثل سوى صراع الطبقات الاجتماعية فيما بينها "[3]، و هكذا حسب التفسير الماركسي في البنيان الفوقي " أي تلك المجموعة من القوانين السياسية و الإيديولوجية و الدين و حتى الفن هي المفسرة من طرف القاعدة الاقتصادية ، يقول ماركس : " في هذه الظروف علينا أن نعمل على تغيير التاريخ بدلا من الركون إلى تفسيره "[4] .

لأن التطور و النضال الاجتماعي لطبقة كبرى اجتماعية " البروليتاريا " يؤهلها لأن تأخذ بمقاليد السلطة أي الطبقة الكادحة ، و بذلك تتحقق الدولة الاشتراكية و تسود المساواة و الأخوة ، و يتحقق كما أسلفنا الذكر أهم مبدأ في الماركسية لكل حسب عمله و لكل حسب حاجته ، هذا المبدأ الذي قال عنه الدكتور محمد البهي : " و عندما اتضح خداع هذا الشعار الماركسي و استحال تحقيقه في التجربة الماركسية في روسيا و شرق أوروبا ... استحدث ما يسمى بالحافز الفردي في الإنتاج " [5].

و هكذا و بحكم قوانين الحتمية الاجتماعية التي تسيرها العوامل الاقتصادية فإن الديالكتيك يستمد و الصراع سيبقى إلى أن تتحقق المرحلة الشيوعية ، إذ تستولي الطبقة

---

[1] محمود صبحي أحمد ، في فلسفة التاريخ ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، الإسكندرية ، 1975 ، ص 42 .

[2] رجب أبو دبوس ، نحو تفسير اجتماعي للتاريخ ، المنشأة العامة للنشر و التوزيع و الإعلان ، طرابلس ، ط1، 1393هـ1984م ، ص 66 .

[3] كارل ماركس ، فريدريك أنجلز ، البيان الشيوعي ، دار الطليعة ، بيروت ، لبنان ، دت. .

[4] فريدريك أنجلز ، التفسير الاشتراكي للتاريخ ، تر : راشد البراوي ، ط2 ، دار النهضة العربية ، 1968 م .

[5] الأخضر شريط ، مشكلة التاريخ عند مالك بن نبي ، المرجع السابق ، ص 32 .

الكادحة على الحكم و يصبح الناس ينتجون بحكم منطلق واحد " لكل حسب حاجته و لكل حسب طاقته " ، و عندئذ يتحقق المجتمع المشاعي و يتحقق الفردوس الأرضي ، كما تعتقد النظرة الماركسية ، إذا فماركس ينظر للتاريخ على أنه تغيير للبنيات الاجتماعية ، لكن إذا وضعنا هذه النظرة تحت مجهر البحث فسنرى :

أولا : أن الانطلاق من المادة كتفسير للتاريخ ، فيه ضرب من المجازفة لأن المادة اصطلاح يعتمد إدراك طبيعة التقدم العلمي الإنساني و تحليل المادة علميا في الوقت الحاضر انتهى إلى كونها ذرات تتكون من شحنات كهربائية يطلق تفجيرها فوق عظيمة [1]، " و كما أن علم الفلك حاليا يفند قول ماركس بأزلية المادة " .

ثانيا : إن افتراض إرادة الإنسان خاضعة لحتمية المادية التاريخية باطل ، و إلا كيف نفسر ظهور الأبطال و القديسين ، و الأنبياء المغيرين للتاريخ .

ثالثا : " إن الديالكتيك منهج علمي غير محدود ، فهو في سيرورة لغوية أبدية فلماذا يتوقف في المرحلة الشيوعية " [2].

رابعا : إن التفسير الماركسي للتاريخ حقيقة ربما كانت صحيحة في رقعة جغرافية معينة فكيف لها أن تكون عالمية ، هذه مجموعة من الانتقادات التي وجهت لفكرة التاريخ حسب ما جاء به ماركس و هي تركز على أهم نظريات في التفسير الماركسي للتاريخ ، ألا و هي المادية التاريخية ، و حقيقة تقسيم ماركس للتاريخ البشري إلى مراحل ، و المرحلة الأولى

[1] جعفر حسين خصباك ، في تفسير التاريخ ، فصل التفسير الماركسي للتاريخ ، منشورات مكتبة النهضة ، بغداد ، د.ت ، ص 38 .

[2] باقر الصدر ، اقتصادنا ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، د .ت ، ص 46 .

كانت مشاعية أن الملكية آنذاك كانت مشاعة بين الأفراد ، لهو مجرد افتراض يبقى مدى صحته أو كذبه معلق رهن القرون التي تتبع الفكرة الماركسية [1].

المطلب الثالث : فكرة التاريخ عند مالك بن نبي

إن من أسس التاريخ التصور الحقيقي للفكرة و الفاعلية القوية لها ، و مكانة النفس الإنسانية في درجة التفاعل معها ، أو وضعها بين حدي الوعد و الوعيد ، يبين مالك بن نبي هذا في كتابه " ميلاد مجتمع " حينما يشير إلى أن العلاقة الروحية في الواقع هي أصل العلاقة الاجتماعية في المجال الزماني [2]، و من هنا فالعلاقة الروحية هي علاقة بين وعد الله و وعيد الإنسان بالمفهوم الاجتماعي بعد وضع هذه العلاقة في مجال الفرد ، و يردف مالك بن نبي أن الفرد مشروط بالجماعة بمعنى أنه لا يمكن رؤية هذه العلاقة الروحية المتجسدة اجتماعيا إلا إذا قامت الأولى " الفرد بتبليغها ، و إذا لم يبلغها المجتمع فهو آثم ، ذلك ما يشير إليه القرآن الكريم مثلا في قوله : **{ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ... [3]}** ، و سنتعرف الآن على شروط الحركة التاريخية ، فما هي ؟ و بعبارة أخرى ما هي الشروط التي تسير الحركة التاريخية عليها ؟ من أجل صناعة التاريخ لأن صناعته ليست بالأمر السهل إذ أنه بمجرد أن يحقق الإنسان وعد و وعيد الله له: **{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ }** [4].

تبدأ الأشياء الأخرى تعمل عملها من خلال الفرد في الطريق الاجتماعي و من خلال المجتمع في الطريق العالمي الغائي ، يحلل مالك بن نبي الآراء المختلفة في تفسير الحركة التاريخية اعتبارا من أن فكرة المجتمع ترتبط بوضع متحرك بعناصر ثلاثة :

---

[1] الأخضر شريط ، مشكلة التاريخ عند مالك بن نبي ، المرجع السابق ، ص 33 .

[2] مالك بن نبي ، ميلاد مجتمع ، تر : عبد الصبور شاهين ، دار الفكر ، دمشق ، الجزء الأول ، 1979م ، ص 57 .

[3] سورة آل عمران ، الآية 110 .

[4] سورة الأنفال ، الآية 24 .

- حركة مستمرة .

- إنتاج دائم لأسبابها .

- غايتها .

و لكنه يرى أن هذا التخطيط يحبسنا داخل الحلقة المفرغة ، إذا ما حاولنا تحديد أي من هذه العناصر الأسبق لأنه إذا حاولنا أن نقول أن الحركة هي التي تؤدي إلى أسبابها فإننا نقع في تناقض ، إذ أننا نبين أن المجتمع في حركية مستمرة دون أن نحدد الأسباب الأولى لهذه الحركة ، يقول مالك بن نبي في هذا السياق : **<** أن كل وسط إنساني يندمج في حركاته منتج لأسباب هذه الحركة ينطوي على عامل أساسي يقهر الخمود الفطري طبقا لمبدأ الميكانيكا الكلاسيكي حين يحيل عناصر الخمود في وسط معين إلى قيم حركية **>**[1]، و هو يعني من كلامه هذا أن الحركة التاريخية لمجتمع عليها أن لا تتكئ إلى شجرة الجهود من جهة ، و من جهة أخرى عليها أن تغذي نفسها بنفسها عندما تقهر الخمود الفطري و تنتج لنفسها قيما تساهم في تحريكها ، و أي وسط إنساني ينطوي في الحقيقة على نصيب من الخمود ، شأنه في ذلك شأن أي وسط من المادة ، و نحن ندل على هذا الخمود في جانب الأفراد بصيغ مختلفة : فنتحدث أحيانا عن الكسل و عن نقص الطاقة ، و عن نقص الإرادة ... كما أننا ندل عليه في الجانب الجماعي حين نتحدث عن الركود أو الكساد و التخلف... و ينقلنا مالك إلى مفسري الحركة التاريخية من أعلام الفكر العالمي فيلاحظ أن هيجل يرجع الأسباب التي تحكم كل حركة تاريخية ، أي كل تغير اجتماعي إلى مبدأ التعارض الذي يتكون من قضية و نقيضها و التركيب بينهما ، و الحركة التاريخية تنشأ طبقا لهذه الأسباب المتعارضة ، و بالتالي فإن غايتها تتمثل أمامه في صورة اندماج و تركيب محتوم ، فهذه هي الأحوال الثلاث التي تسيطر على كل حركة تاريخية في رأي هيجل ، و بالتالي يتلخص فيها كل تغيير اجتماعي ، فالحالة التي توجد فيها جماعة إنسانية في لحظة معينة من

[1] مالك بن نبي ، ميلاد مجتمع ، المصدر السابق ، ص 17-18 .

تاريخها هي في رأيه قضية ، و لكن قد تظهر خلال هذه الحركات أسباب ، ذات طابع اقتصادي أو أخلاقي أو مناخي تهدف إلى تعديل اتجاهها ، فبتأثير الأفعال و ردود الأفعال المتبادلة يصبح الوسط مجالا لنزعات السكون المتصلة بخموده الفطري ، و نزعات الحركة التي تنشئ حالة مناقضة في طريقها إلى الظهور يتكون عنها نقيض القضية ، و فكرة التعارض هذه هي التي تكون في نظر هيجل القوة المحركة التي تخلف الحركة التاريخية ، التي من شأنها أن تخلق أسبابها ، لأن هذا الجدل هو الهدف الأول الذي تسعى إليه فكرة هيجل في تفسير الحركة التاريخية .

و يبدي مالك بن نبي رأيه أيضا في المذاهب الحديثة ، نقصد المذاهب التاريخية فيؤكد أنها انطلقت في تفسيراتها من هذه الجدلية الهيجلية ، و لو أن بعض المفكرين أضفوا على عامل الأسباب المتعارضة طابعا اقتصاديا ، و عليه فإن المجتمع الذي يوجد بهذه الصفة و يشكل حضارته يكون ناشئا من فكرة " التعارض الاقتصادي " هذه هي الفكرة الماركسية ، يقدم لنا مالك بن نبي دليلا حول هذه الفكرة و مدى صحتها و صلاحيتها في واقع ما ، فيرى أن الفكرة الماركسية في رقعتها الجغرافية استطاعت أن تحقق نجاحا في ميدان الدخل الفردي ، و مع الأسف فإن هذا الدخل نفسه وصلت إليه كل من اليابان و إنجلترا بالرغم من أن الدولتين لا تنتميان إلى فكرة ماركس الاقتصادية ، يقول في هذا المعنى: **<...** و بذلك نستطيع أن نقرر إلى أن يثبت العكس ، إن انتشار الفكرة الشيوعية محدود داخل هذه الحدود الاقتصادية المطابقة لحدود جغرافية معين ، و أن التفكير الماركسي لم يجد وراء هذه الحدود المزدوجة ظروف تأقلمه ، فهو بهذه الصورة لا يستطيع أن يقدم لنا تفسيرا معقولا للمجالات التي لم ينتشر فيها على الخريطة **>**[1]، ثم ينتقل إلى فكرة أو نظرية " جون أرلوند توينبي " حول تفسير الحركة التاريخية فيرى أنها هي نفسها مأخوذة عن فكرة التعارض التي أتى بها هيجل ، و لقد كان كارل ماركس قد أعطى فكرة التعارض

[1] مالك بن نبي ، ميلاد مجتمع ، المصدر السابق ، ص 19 .

"مفهوم الصراع الطبقي " أعطاه صيغة مادية اقتصادية ، في حين أن توينبي جعل مما سماه هيجل الحالة الراهنة بمجتمع ما شيئا طبيعيا غالبا ما يكون موازيا في مدى قوته للطبيعة الإنسانية مما يجعل " التحدي ممكنا " فنقيض القضية هنا هو ما يسميه " بالتحدي " و ما ينجم عن التحدي نسميه بالاستجابة ، فهناك إذن حد يبدأ منه ما أطلق عليه توينبي (التحدي المناسب) الذي يستلزم نشوء (إجابة) كافية لتحريك أسباب التغيير .

و مالك يرى توينبي قدم تفسيرا غير تفسير ماركس أو هيجل للحركة التاريخية لما يجعل النشاط موجها بين طرفي نقيض : الحد الأول يمثل الطبيعة عنده و الحد الثاني يمثل الجانب النفسي للإنسان ، و في رأيه أنه كلما كان تحديا كانت استجابة ، و كلما حدث العكس كلما كان هنالك إخفاقا ، إن الحركة مشروطة بجملة عوامل تبدو كأنها حقيقة بين الطبيعة التي تشكل المجال الحيوي و الإنسان الذي يشكل عنصر التجاوب ، و بتعبير مالك بن نبي فإن الحركة التاريخية حسب توينبي مرهونة بشرطيها حين يتحقق اللاإفراط و اللاتفريط ، و شرحا لفكرته نقول أنه كلما كانت الطبيعة قاسية كلما استطاع الإنسان أن يتغلب عليها و يسخرها لنفسه ، شرط أن يملك ضميرا قويا أو شعورا قويا اتجاه عملية التصهير هذه ، و هذا الوضع أو هذا الحال هو وحده الذي يمكن الحركة التاريخية من السير ، أما إذا حدث العكس من هذا ، أي في حالة ما إذا كانت قوة التحدي " الطبيعة " أصلب و أمتن من قوة الاستجابة " الإنسان " أو كان العكس بمعنى : أن قوة الاستجابة كانت أمتن عودا عند الإنسان منها في الطبيعة ، و يستند مالك بن نبي في هذا إلى مثالين يستدل بهما توينبي من التاريخ إذ يلاحظ مالك أن الشعوب التي هاجرت إلى أعالي النيل إبان العصر الحجري الجديد ، فلم تستطع أن تحدث تغييرا في شرائط حياتها منذ ذلك الحين لأنها قد عمدت إلى الفرار من قسوة التحدي ، أما إخوانهم الذي كانوا يعيشون في الوادي

المنخفض فقد آثروا مواجهة التحدي ، الذي واجهتهم به الطبيعة المناخ و المناخ فغيروا بذلك شرائط حياتهم تغييرا تاما ، و نجحوا في إقامة أول مجتمع متحضر شهده التاريخ [1].

و يستطرد مالك بن نبي قائلا : **<** أن الاسكيمو الذي يعدون نموذجا للجماعة الإنسانية التي لا تغير شرائط وجودها ، لأن تحدي الطبيعة لها ، و قد أربى على إمكانياتها و قواها ، جمدها شكل من أشكال الحياة الساكنة **>**[2]، إذ القضية هي قضية وجود أو لا وجود يعني في رأي توينبي إما أن يتحدى الإنسان الطبيعة و تتحداه هي ، ففي الحالة الأولى يبني و يقيم حضارته ، و في الحالة الثانية فإن الجمود يصيب حياته حتى تصبح حياته شكلا من الأشكال التي ترضي الطبيعة و حسب و منها شعوب الإسكيمو مثلا ، و بهذه الأمثلة يرينا توينبي كيف أن نقص التحدي أو زيادته و عنفه يؤثران بصورة واحدة على قوى التاريخ الإنساني ، و نحن يمكننا إلى حد ما أن نصوغ هذا الرأي الذي ذهب إليه توينبي صياغة جديدة في ضوء القرآن الكريم ، فقد نستطيع ما دمنا لم نصل بهذه الطريقة إلى تفسير واضح لمنشأ الحركة التي ولدت المجتمع الإسلامي و غايته التاريخية أن نفسر هذه الحركة بالعوامل النفسية التي حفزت القوة الروحية في هذا المجتمع أعني شروط حركته عبر القرون [3].

إن مالك بن نبي كما أسلفنا في هذا القول يريد أن يدحض فكرة كون المجتمع عندما يريد أن يقيم حركته التاريخية ، يكفيه أن نحفز فيه الدوافع الطبيعية النفسية ، فنرى أنه لا يمكننا أن نقول بذلك تحفيز الدوافع في رأيه هو الآخر بحاجة إلى عامل يحفزه و لذلك فالحالة النفسية الطبيعية غير كافية وحدها لتمرير و تسيير الحركة التاريخية و بعبارة أوضح ، فإنها لو كانت كذلك كان عليها أن تحفز شعوبا كثيرة إذ لا فرق بين المجتمع الإسلامي و

---

[1] مالك بن نبي ، ميلاد مجتمع ، المصدر السابق ، ص 20 .

[2] المصدر نفسه ، ص 24 .

[3] المصدر نفسه ، ص 24 .

المجتمع البدوي إبان تشكلها ، و لكت تبقى المسافة بعيدة بينهما حينما نرى أن المجتمع الأول يتشكل بأفراده ، كأنهم بنيان مرصوص في حين أن مالك بن نبي عندما يقدم هذا النقد لتوينبي ، فإنما يريد أن يحقق فكرته لكن هذه المرة في قالب آخر هو قالب " الوعد و الوعيد" الذي عثر عليه في القرآن الكريم ، فهو يقدم تعريفه للوعد و الوعيد بأن الوعد هو الحد الأعلى الذي يصبح الجهد من ورائه مستحيلا ، و ذلك حين تطغى قساوة التحدي على القوة الروحية التي منحها الإنسان ، و الوعيد هو الحد الأدنى الذي لا يوجد دونه جهد مؤثر ، و يخلص إلى ضرب مثالين عليهما كحالتين نفسيتين :

– المثال الأول يأخذه من التاريخ في أيامه الأولى و هو حالة صبر بلال الصحابي الجليل رضي الله عنه على ما كان يلقاه من عذاب و محن ، و كيف استطاع أن يتحدى قريش بقوله : < أحد ... أحد ... > يقول مالك بن نبي عنه : **<** و لم تستطع قوة في الأرض ، و ما كان لها أن تستطيع أن تخفض إصبعه ، إذ أن روحه في اللحظة التي كانوا يصبون فيها العذاب على بدنه كانت منغمرة في فيض نوراني لا يوصف ، هو "وعد الحق" **>**[1].

– و المثال الثاني هو مثال المرأة الزانية التي طلبت من الرسول صلى الله عليه و سلم إقامة حد الزنا عليها ، يبرز لنا قيمة " الوعيد " في توجيه الطاقات النفسية في حالة معينة [2].

إن هذا الفهم لأسس الحركة التاريخية و لعوامل انطلاقها أو لشروطها هو الذي يمكننا من أن نستنتج أن النفس الإنسانية تقع في حالتها الطبيعية بين حدي وعد و وعيد ، و كل مجال لها خارج هذين الحدين هو مجال إما " اليأس " أو " القنوط " ، و عندئذ يمكن القول أن الحركة التاريخية لا يمكنها أن تتم في هاتين الحالتين ، لأنهما حالتان تنعدم فيهما الحركة التاريخية لا يمكنها أن تتم في هاتين الحالتين ، لأنهما حالتان تنعدم فيهما الحركة التاريخية و حسب ، بلا حتى الحركة الطبيعية ، و بما أننا قد وضعنا قدر المستطاع جملة الآراء التي

[1] مالك بن نبي ، ميلاد مجتمع ، المصدر السابق ، ص 25 .

[2] المصدر نفسه ، ص 25 .

خاضت في سير الحركة التاريخية ابتداءا من فكرة هيجل : " الجدلية التاريخية " ، ثو مرورا بالجدلية الماركسية لماركس ، و وقفنا مع توينبي في تعويضه لفكرة التعارض بفكرة التحدي و الاستجابة ، و وقفنا أيضا عند المعامل الذي يجعله محفزا للحركة التاريخية و هو محفز طبيعي ، لنتعرف الآن على صياغة هذا الرأي الأخير صياغة أخرى كما فعل مالك بن نبي الذي يشير إلى أن " آلية الحركة التاريخية إنما ترجع في حقيقتها إلى مجموعة العوامل النفسية التي تعتبر ناتجا عن بعض القوى الروحية ، و هذه القوى الروحية هي التي تجعل من النفس المحرك الجوهري للتاريخ الإنساني " [1].

و مالك بن نبي بعد هذا كله يعود إلى المؤرخ الفرنسي " جيزو " محلل الحركة التاريخية في أوروبا الذي يرى أن التاريخ من حيث كونه " علم ما وقع فعلا " يمكن أن يتناول موضوعه بطريقتين : فإما أن يجد مجال دراسته في الفرد نفسه في كل ما يؤثر في حياته و يغير من صفاته الإنسانية ، و إما أن يجده في الوسط الذي يحيط بهذه الفرد أعني في كل ما يؤثر في حياة المجتمع ، و يغير من صفاته ، و التاريخ على أي حال ليس سوى هذا التغيير الذي تتعرض له (الذات) ، و المجال الذي يحوطها على سواء [2]، و تفسير ذلك أن التاريخ في حركته حسب ما يشير إليه " جيزو " هو تفسير نفسي يقع للذات أولا و قبل كل شيء ، بمعنى أن ذات الإنسان عندما تحفزها جملة من العوامل سواء عوامل ميتافيزيقية أو روحية ، فإنها تفعل فعلها في المجتمع الذي بدوره يضع تاريخه .

إن التحول من الحالة الأولى إلى الحالة الثانية و بفعل العوامل التي أشرنا إليها سابقا هو الذي ترك مالك بن نبي يفكر في أن التاريخ : هو ضرب من النشاط المشترك للأشخاص و الأفكار و الأشياء ، و بتعبير أدق فإن صناعة التاريخ تتم تبعا لتأثير طوائف اجتماعية ثلاث :

---

[1] مالك بن نبي ، ميلاد مجتمع ، المصدر السابق ، ص 26 .

[2] المصدر نفسه ، ص 26 .

- تأثير " عالم الأشخاص "

- تأثير عالم الأفكار

- تأثير عالم الأشياء

لكن هذه العوامل الثلاثة لا تعمل متفرقة ، بل تتوافق في عمل مشترك تأتي صورته طبقا لنماذج إيديولوجية من " عالم الأفكار " ، يتم تنفيذها بوسائل من " عالم الأشياء " ، من أجل غاية يحددها " عالم الأشخاص " ، فالعمل التاريخي بالضرورة من صنع الأشخاص و الأفكار و الأشياء جميعا ، و معنى هذا أنه لا يمكن أن يتم عمل تاريخي إذا لم تتوافر صلات ضرورية داخل هذه العوالم الثلاثة لتربط أجزائها في نطاقها الخاص و بين هذه العوالم لتشكل كيانها العام من أجل عمل مشترك [1]، إن تأثير هذه العوالم مجتمعة هو الذي يمكن الحركة التاريخية من السير ، فحسب مالك بن نبي أن أسس الحركة التاريخية هي العوالم الثلاث .

[1] مالك بن نبي ، ميلاد مجتمع ، المصدر السابق ، ص 27 .

الفصل الثالث : مالك بن نبي وتصوره لحركة التاريخ

المبحث الأول : شروط الحركة التاريخية

المطلب الأول : عالم الأشخاص

إنه لتذليل مصطلح " علم الأشخاص " و الذي في الحقيقة لا نجد له تحديد كلفظ قاموسي عند مالك بن نبي ، علينا أن نعود إلى ما نستطيع هضمه من قراءات تخص اللفظة في جميع كتاباته ، و لكن مع ذلك يمكننا أن نستعين ببعض التعريفات التي يقدمها و التي في رأينا تحدد مصطلح علم الأشخاص .

إن لكلمة شخص معنى خاصا و مضبوطا في فكر مالك بن نبي ، فهي تعني : "الكائن المعقد الذي ينتج الحضارة و هذا الكائن هو في ذاته نتاج حضارة ، إذ هو يدين لها بكل ما يملك من أفكار و أشياء " [1]، و هو بهذا المعنى يبدي فرقا هائلا بين كلمة " فرد " و كلمة " شخص " ، إذ أن الكلمة الأولى لا تدول سوى على النوع كما عرفته الحياة البيولوجية و نعني بهذا أن الفرد هو مجموع الصفات الجسمانية التي تميز النوع عن غيره من الأنواع، في حين أن كلمة شخص هي أولا و قبل كل شيء تغيير في المجال الثقافي ذلك المجال الذي يدين له الفرد حتى يصبح شخصا بمعنى أن الفرد متى أصبحت له شبكة علاقات اجتماعية تغير و أصبح شخصا ، من هذا التوضيح كلمة شخص نستطيع أن نذلل المصطلح السابق فهو يعني : مجموع الكائنات المعقدة التي تنتج حضارة ، و هي الكائنات التي تمثل في ذاتها نتاج حضارة ... الخ ، و بعبارة أخرى فمالك بن نبي يعني بعالم الأشخاص العالم الذي تغيرت فيه الأفراد بسبب شروط ثقافية إلى أن كونت عالما خاصا بها و الذي هو في حقيقته إيجاد مناخ ثقافي خاص للعلاقات الاجتماعية نسميه عالم الأشخاص.

[1] مالك بن نبي ، ميلاد مجتمع ، المصدر السابق ، ص 26 .

يقول مالك بن نبي : **<** إن الطبيعة توجد النوع ، و لكن التاريخ يصنع المجتمع و من هدف الطبيعة هو الحفاظ على البقاء ، بينما الغاية من التاريخ هو أن يسير بركب التقدم نحو شكل الحياة الراقية و هو ما انطلق عليه اسم الحضارة **>**[1]، و ما يعنيه من كلامه هذا:

– أولا : يحدد لنا مفهوم الإنسان ، فهو في نشأته يوجد على شكله الطبيعي أي تكون بمجموع الصفات البيولوجية هي التي تصنع سمات شخصيته سواء كانت هذه الصفات صفات جسمانية ، كالطول أو القصر و السمنة أو النحافة ، و ضخامة البنية الجسدية ... أو كانت هذه الصفات صفات وراثية ، كوراثة الصفات السائدة من الآباء أو الأجداد و الصفات الخاصة بالجانب الطبيعي في الإنسان ، و الإنسان بهذه الحالة شبيه بعالم الحيوان من حيث الخاصية البيولوجية لكنه يختلف عن عالم الحيوان كليا ، إذ أكد علماء البيولوجيا اليوم على أن عالم الإنسان مختلف عن عالم الحيوان و المهم هو أن الخاصية الطبيعية في الإنسان لا توجد سوى في نوع الإنسان و الخاصية الطبيعية في نوع الحيوان لا توجد سوى في الحيوان ، و هكذا فإن الحياة الطبيعية في عالم الإنسان لا تؤهله سوى أن يلبي حاجياته البيولوجية إلى جانب ذلك يوجد فيه أيضا مجموع الاستعدادات الفطرية التي تمكن الفرد من عمل التغيير ، فالطبيعة عندما تأتي بالنوع الإنساني تأتي به كما هو بيولوجيا فقط ، بينما حتى يكتمل دور الإنسان و حتى لا يبقى الإنسان مجرد فرد بل يتحول إلى شخص هناك عمل آخر ينتظر هذا الإنسان ، هذا العمل هو القيام بعملية تغيير و شحذ للملكات الفطرية فيه كي يوجهها نحو أهداف نبيلة و نحو غايات ترضي الإنسان في جانبه القيمي ، الأخلاقي خاصة ، إن هذا العمل هو ما يقوم به الفرد من عملية تغيير نفسي تتماشى و الوجهة التي تحددها له الشرائع و الإيديولوجية الخاصة به ، و الإنسان في هذه الحال يمكن له أن يتغير من فرد إلى شخص عندما يبدأ بتغيير أولا الجانب الذاتي فيه من حالة " الطين"

[1] مالك بن نبي ، ميلاد مجتمع ، المصدر السابق ، ص 16 .

إلى حالة " العقل " حينئذ يمكنه أن يغير الواقع المحيط به ، ثم إن عملية التغيير هذه تكون وفق شروط هي :

* أولا : أن يقتنع الإنسان بالفكرة الموجهة لمناهجه في الحياة .

* ثانيا : أن يقنع الآخرين بهذه الفكرة .

و إذا قام الإنسان بهذا العمل الثنائي فقط فإنه يستطيع أن يكون مساهما إلى حد ما في صنع التاريخ ، و بالتالي نستطيع أن نقول عنه أنه شخص مساهم في صنع الحضارة ، إن عمل التغيير الذي يحول الإنسان من كونه فردا إلى كونه شخصا يقتضي ايضا عدة شروط :

* أولا : على الإنسان أن يتمكن من فهم نفسه ، و من فهم الواقع المحيط به .

* ثانيا : أن يكون متفهما للفكرة التي توجهه في فهم ذاته و في فهم الواقع الذي يحيط به ، و بتعبير أدق يكون ذلك بتغيير صفاته البدائية التي تربطه بالنوع إلى نزعات اجتماعية تربطه بالمجتمع ، هذه العلاقات الخاصة " بعالم الأشخاص " هي التي تقدم الروابط الضرورية بين الأفكار و الأشياء ، في نطاق النشاط المشترك الذي يقوم به مجتمع ما ، و اجتماع الأشخاص في أي ظرف و في أي مكان هو التعبير المرئي عن هذه العلاقات في مجال معين من مجالات النشاط الاجتماعي ، ثم إن الاجتماع الإنساني على ضوء هذه العلاقات ذات الأطر الثقافية الخاصة ، هي بالتالي التي تؤهل هذا المجتمع ، أن ينتج فقط أفكاره و أشياءه ، و الملاحظ أن العمل الأول الذي قام به الرسول صلى الله عليه و سلم حين هاجر من مكة إلى المدينة هو بناء مسجد و الإيخاء بين المهاجرين و الأنصار ، و الحقيقة أن هذا العمل الأول دليل قاطع على أنه في المسجد يستطيع الفرد المسلم أن يتذكر

ساعة ميلاده حتى يحافظ على استمراريته النوعية من ناحية الكم و الكيف ، بمعنى أن الإنسان في هذه الحالة يمكن إلى حد ما أن يضمن شروط بقائه كشخص مسلم .[1]

و إن العمل الثاني الذي هو المؤاخاة بين المهاجرين و الأنصار لم يكن ممكنا دونه القيام بأي تجاوب بين الفكرة القرآنية و عالم الإنسان ما لم يكن في إمكان كل أنصاري أن يتقاسم شروط الحياة مع أخيه المهاجر ، و هذا العمل الذي للأسف لا زالت الأمة تفتقر إليه اليوم ، و يزيد مالك بن نبي هذه الفكرة وضوحا ، أي فكرة عالم الأشخاص حينما يضفي عليها معنى الثقافة في التاريخ إذ يقول : **<** لا يمكن لنا أن نتصور تاريخا بلا ثقافة فالشعب الذي فقد ثقافته فقد فقد تاريخه **>**[2]، و هذا الكلام نجده من الناحية الفلسفية ضاربا في مشكلتين عويصتين هما مشكلة الثقافة و مشكلة التاريخ ، و بالتالي العلاقة بين الثقافة كمشكلة و التاريخ كمشكلة ، فنجد حدود العلاقة هذه كالتالي :

* أولا : من الناحية المنطقية فإن الثقافة تصنع التاريخ و العكس صحيح : و إذا قلنا " لا ثقافة " فهذا يستلزم أيضا " لا تاريخ " ، و إذا قلنا أيضا " لا تاريخ " فهذا يعطي أيضا " لا ثقافة " و هذا معناه منطقيا أن أحد طرفي المعادلة مرهون بالطرف الثاني .

* ثانيا : و من الناحية الواقعية نلاحظ هذا في عدة مجتمعات ، كتلك التي تسمى اليوم بالمجتمعات البدائية فنلاحظ أنها تعيش " اللاثقافة " ، فكانت أيضا بالتالي على هامش التاريخ فهي كذلك في حالة اللاتاريخ ، و كذلك مجتمع الإسكيمو ذلك المجتمع الذي تحجر بسبب أنه لم يكن في إمكانه برهنة شروط ثقافية معينة ، و عليه فإنه يمكن القول لا تاريخ لمجتمع الإسكيمو ، إذن من خلال هذا التحليل الذي تطرقنا إليه من الناحية المنطقية و الناحية الواقعية فإن معنى الثقافة في التاريخ على علاقة وطيدة بتوفير ما يسميه مالك بن نبي ب " عالم الأشخاص " ، و كذلك يلاحظ مالك بن نبي أن المجتمع الإسلامي منذ سقوط

[1] مالك بن نبي ، ميلاد مجتمع ، المصدر السابق ، ص 29 .

[2] مالك بن نبي ، شروط النهضة ، تر : عبد الصبور شاهين ، دار الفكر ، دمشق ، ط4 ، 1979م ، ص 129.

غرناطة إلى القرن التاسع عشر لم يخط و لو خطوة في تاريخه فلم نكن نجد مؤثرين في التاريخ أمثال الفارابي ، و الرازي ، و الخوارزمي و ... ، حتى و كأن تلك الفترة من التاريخ لم يكن لها وجود في تاريخ المجتمع الإسلامي من الناحية الحضارية و السبب يعود إلى كون الحضارة الإسلامية توقفت عند آخر شمعة أنارت في عصر ما بعد الموحدين و المتمثلة بشخص " ابن خلدون " ، فلم تعد المبررات الثقافية ممكنة لذات المجتمع من أن يكمل مسيرته عبر التاريخ لأنه فقد أكبر خاصية لأفراده و التي هي بناء العلاقات الاجتماعية و بالتالي يمكن القول بأنه بتر عالم أشخاصه [1].

هذا هو مفهوم " عالم الأشخاص " حسب التعبير الفلسفي و الديني ، أما من وجهة نظر علم النفس فإن الطبيعة تأتي بالفرد في حالة " بدائية " ثم يتولى المجتمع تشكيله و تكوينه لأهداف خاصة ، و هو المعنى الذي أشار إليه رسول الله صلى الله عليه و سلم في قوله : (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه ، أو يمجسانه)[2] ، و إذا نظرنا إلى الجانب السيكولوجي الاجتماعي ، نستطيع أن نقول مع مالك بن نبي " أن الفرد و المجتمع في الطريق العادية يعملان في نفس الاتجاه ، فإن هناك تبادلا بين الانعكاس الفردي و العلاقة الاجتماعية ، و بفضل هذا التبادل ينبغي أن نتوقع تدخل الواقع الديني في هذا الجانب الجديد من المسألة " [3]، إن هذا التحليل الذي تطرق إليه مالك بن نبي عن " عالم الأشخاص " فيقرر بأنه لا يمكن تصور عمل تاريخي ، و بالتالي صناعة التاريخ ، إلا إذا كان هناك اشتراك بين " عالم الأفكار " و " عالم الأشياء " .

[1] الأخضر شريط ، مشكلة التاريخ عند مالك بن نبي ، المرجع السابق ، ص 75 .

[2] مالك بن نبي ، ميلاد مجتمع ، مصدر سابق ، ص 60 .

[3] المصدر نفسه ، ص 61 .

المطلب الثاني : عالم الأفكار

يمكن اليوم للإنسان أن يؤثر في المجتمع بثلاثة أشياء : يمكن أن يؤثر فيه بالعمل الدؤوب الذي يقوم به خلال نشاطه الاجتماعي في اليوم ، كما يمكن أن يؤثر في هذا المجتمع بمال يملكه و يحوله من مجرد " ثروة " إلى مال موظف " رأس مال " في الواقع الاقتصادي له و بالتالي للمجتمع و للدولة ، ثم إنه يمكن للإنسان أن يؤثر في المجتمع بفكرة يملكها عن تصوره للحياة و للمجتمع و للكون .

إن " لعالم الأفكار " دور في صناعة التاريخ و سنتطرق الآن إلى تحليل هذا العالم كما تصوره مالك بن نبي ، يرى هذا الأخير أن علم الأجنة يحدد المراحل الشكلية و التكوينية التي يمر بها الجنين بعد الشهر الرابع ، و هذه القضية التي وقف منها الفكر القرآني موقفا مجاز فشأن كل فكرة دينية ليس هناك أي سبب يدعو إلى إنكارها أو تأييدها[1]، و في هذه الحال و على " الصعيد التاريخي " فلا مانع من الإشارة إلى أوجه التشابه بين بعض خصائص النمو العقلي عند الفرد و بين النمو النفسي الاجتماعي في المجتمع و الذي يبدوا أنه يمر هو أيضا بثلاث أعمار :

1- عمر الشيء .

2- عمر الشخص .

3- عمر الفكرة .[2]

هذه الخصائص الثلاث لا تتميز بعضها عن بعض بل يمكننا القول أنها تتساير معا، إن كل من الشيء و الفكرة و الشخص يتعاونون لصناعة التاريخ ، و بالتالي صياغة مجتمع، كان هذا في كل تاريخ ، إذ أنه لنشأة مجتمع ما لا بد و أن نلاحظ مدى تدخل

[1] الأخضر شريط ، مشكلة التاريخ عند مالك بن نبي ، المصدر السابق ، ص 82 .

[2] مالك بن نبي ، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي ، تر : محمد عبد العظيم علي ، القاهرة ، 1970م ، ص 36 .

الأشياء و الأشخاص و الأفكار لصناعة هذا المجتمع ، و لا يتميز المجتمع النامي بقلة الوسائل المادية " الأشياء " فحسب و إنما بقصور في الأفكار يتجلى هذا القصور بصفة خاصة في طريقة استخدامه بفعالية أو عدم فعالية للوسائل المادية المتوفرة لديه مع عجزه عن إيجاد غيرها ، كما يتميز بصفة خاصة في طريقة طرحه لمشاكله أو عدم طرحها على الإطلاق عندها يتغاضى عن أية رغبة تدعوه إلى دراستها [1].

نلاحظ أن الوسيلة التي تنقض من نشاط الأفراد في صناعتهم للمجتمع و بالتالي لبنائهم التاريخ ليس و حسب عالم الأشياء ، لأن هذا يمكنه أن يكون بكل سهولة ، و إذا طبقنا هذه المقولة على التاريخ الحديث نجد مدى صدقها و صحتها ، فإن اليابان بلد فقير من ناحية الثروات الطبيعية فهو البلد الذي يستورد النفط من الشرق الأوسط و من بلدان غربية فهو لا يملك " الشيء " و لم يكن في إمكانه أن يملكه ، و لكنه يملك " التطور العقلي" للفرد الياباني و بالتالي النمو الفكري عنده ساعده على أن يكون من أكبر البلدان تقدما اليوم في العالم ، و عند طرح هذه القضية على بلد آخر يملك كل الضرورات المادية كالبلدان العربية خاصة النفطية منها ، فإننا نجد أنها لم تستطع أن تواكب ركب التحضر لا لشيء سوى لأن هناك تعطيل فكري أصابها ، إذا فأهمية الفكرة ضرورية لبناء أي مجتمع ما، و يأتي مالك بن نبي بدليل على أهمية الفكرة في النهوض الحضاري من الواقع الزراعي، فبلد كالعراق و اندونيسيا وهبهم الله أخصب الأراضي في العالم نجد أنهما في آخر سلم التطور لأن قصورا حقيقيا في الأفكار يظهر أثره في المجال السياسي و الاقتصادي على شكل خمول [2]، و يذكر مالك بن نبي أن كل مجتمع تاريخي معاصر أو مندثر يحتل مركزا محددا محور يمثل جميع مراحل التطور ... و يقسم التاريخ إلى ثلاثة مراحل :

1- مرحلة المجتمع قبل التحضر .

[1] مالك بن نبي ، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي ، المصدر السابق ، ص 35 .

[2] المصدر نفسه ، ص 36 .

2- مرحلة المجتمع المتحضر .

3- مرحلة المجتمع بعد التحضر .[1]

هذه المراحل الثلاث (التي يغفل عنها بعض المؤرخين ، حتى يتركوها عمدا مجالا للصراع الفكري) إلا أنها على محور الزمن يمكننا أن نصنفها في تاريخ الحضارة الإسلامية، إذ يمكننا ملاحظة الأشياء التالية :

- أولا : مجتمع ما قبل التحضر و هو المتمثل في المجتمع القبلي الجاهلي و كان فيه عالم الأشخاص مفككا ، فالعلاقات الاجتماعية في توترها بين أفراد المجتمع لا تزيد إلا دفاعا عن أفراد القبيلة ، كما امتازت في عالم أفكارها بتلك " النرجسية " و التباهي بالأمجاد نلمح هذا في ما تركه العرب من معلقات شعرية ، و لم تكن هناك فكرة يملكها الفرد الجاهلي ، أي أنه في مرحلة ما قبل الاجتماعية في عالم أفكاره ، و هكذا ما إن حل العصر الذهبي للحضارة الإسلامية حتى غدا عالم أشياء العالم الإسلامي ناميا جدا في الوقت الذي كان المناخ الثقافي يتكون من رصيد من الأفكار ، في حين أن حضارة أوروبا المسيحية في ذلك العصر كانت تعيش جاهلية ما فوقها جاهلية ، و يشهد على ذلك مفكروها أنفسهم و يرجع كل الفضل حين أنارت فكرة في غار حراء بدأت بكلمة " اقرأ " ، لكن متى يحل الصنم تختبئ الفكرة و هذه المرة غدا الصنم متمثلا في " الصوفية " ، و " التدجيل " و الاعتزاز بالذنب و يمكننا تسمية الصنع الذي أصاب الحضارة الإسلامية في عالم أفكارها بصنم " النرجسية " و حتميا طبعا أن تكون هذه الحال قد انتكس فيها العنصر الأخلاقي الموالف " للأشخاص" و "الأشياء" و "الأفكار" .

إن التاريخ لا يصنع بالاندفاع في دروب سبق السير فيها ، و إنما يفتح دروبا جديدة، و لا يتحقق ذلك إلا بأفكار صادقة تتجاوب مع جميع المشاكل ذات الطابع الأخلاقي ، و

[1] مالك بن نبي ، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي ، المصدر السابق ، ص 35 .

بأفكار فعالة لمواجهة مشكلات البناء في مجتمع يريد إعادة بناء نفسه ، و كما يرى مالك بن نبي فإن الأفكار هي التي تساهم إلى حد ما في صناعة التاريخ لكن الآن يواجهنا سؤال هو أي الأفكار التي تصنع التاريخ ؟ أهي كل إرث فكري ؟ أم هي كل تقليد ؟ أم هي كل فكرة حية ؟[1]

الحقيقة كما يراها مالك بن نبي نوعان : من حيث القيمة فهي :

1) أفكار ميتة و أفكار قاتلة .

2) أفكار ذات فعالية صادقة .

لنبدأ بتحليل الأولى : و يوضح لنا مالك بن نبي الأفكار الميتة من الأفكار القاتلة و تأثيرها خاصة على العالم الإسلامي ، و هي حينما مر أمير الشعراء أحمد شوقي بباريس ألهمه ظرف معين فأنشد قصيدة حيابها مدينة الأنوار ، و لم يكن يدري أنه أتاح فرصة ليستغلها بعض دعاة الحياد الثقافي يوما ما ضده ، و هو ما لاحظه مالك بن نبي عند محاورته لأحد خريجي جامعة الزيتونة و محتوى هذه الحادثة أن هذا الزيتوني افتقد قصيدة للشاعر أحمد شوقي مدح فيها باريس فانتقد هذا الخريج القصيدة لأنها مجدت الأثر المفسد لتلك الثقافة الغربية فأفسدت هذه القصيدة حسب رأي الزيتوني نسبة كبيرة من المسلمين ، و قد رأى مالك بن نبي في كلام الزيتوني هذا أنه حاصل " الأفكار الميتة " التي نشأت عن وراثتنا الاجتماعية و مجاورة لأفكار قاتلة استوردت من الغرب ، و كلا من هذين المشهدين (أي رأي الزيتوني ، الممثل في الأفكار الميتة و مدح شوقي الممثل في الأفكار القاتلة) كان يرى فيهما صورة حقيقية للمأساة الاستعمارية و هما القابلية للاستعمار و الاستعمار مترجمان

[1] مالك بن نبي ، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي ، المصدر السابق ، ص 220 .

على شكل ثقافة ، و يوضح مالك بن نبي رأيه في الفكرتين معا ، فيرى أن الأفكار الميتة التي ورثناها من عصر ما بعد التحضر هي أكثر قدرة على القتل من الأفكار الأخرى [1].

و كما نرى أن كل شيء مستورد من الحضارة الغربية قاتل كذلك لهذا لم تقتل الحضارة الغربية نفسها ، بل لازالت آلتها تمشي إلى أجلها المسمى ، إذا فالحضارة الغربية لها أسس و قواعد متينة غير التي يراها رجل ما بعد التحضر عندنا ، فالمشكلة إذا ليست في طاحونة الحضارة الغربية من جهة و ليست أيضا في ذهنيتنا بقدر ما تتعلق بعلاقتنا مع هذه الحضارة الغربية : " إن المشكلة التي تثار لا تتعلق بطبيعة الثقافة الغربية ذاتها و إنما بالطبيعة الشاذة لعلاقتنا بها " [2].

إذا فنحن لا زلنا نعيش إرهاصات نهضة و ليست نهضة ، خاصة في جانب عالم أفكارنا ، لأنه و كما هو معروف فإن الفرد لا يؤثر في مجتمع لكي يصنع تاريخه إلا بمال يحوله إلى مال موظف ، بدل أن كان ثروة أو أفكار ينير بها على المجتمع الذي يعايشه ، و إذا إن الأفكار في نهضتنا كان يجب أن تكون بناءة و ليست أفكار هدامة ، و يعود بنا مالك بن نبي ليفصل في الفكرة بين من هو صائب في فكرته أهو شوقي أمير الشعراء أم الأستاذ الزيتوني فيرى فيهما مالك أن الأولى (شوقي) كان يحمل أفكارا قاتلة ، أما الثاني فكان يحمل أفكارا ميتة و كلاهما شر ، غير أن الفاصل القاطع في هذا الشجار الذي دار بين مالك و الأستاذ الزيتوني حول قصيدة شوقي فصلها عامل جزائري بسيط حين قال بعدما استمع للمناقشة " أعتقد أن هذا الموضوع يشبه عملية التطعيم الزراعي حيث نرى الفرع الذي

[1] مالك بن نبي ، تبسيط مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي ، تر : و تلخيص عبد العظيم علي ، ط1 ، دار الدعوة للطباعة و النشر و التوزيع ، القاهرة ، 1997 ، ص 33 .

[2] مالك بن نبي ، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي ، المصدر السابق ، ص 205 .

يضاف إلى الشجرة لا يأتي بثمار تشبه الشجرة التي ألحق بها ، و إنما تأتي ثمار مثل ثمار الشجر الأم " [1].

و في هذا السياق يحدثنا مالك بن نبي عن نوعين من الأفكار و التي نسميها هنا : "الأفكار المخذولة (كل من الأفكار الميتة و الأفكار القاتلة : أي الأفكار المخذولة)" و حسب رأي مالك بن نبي فإن الأفكار الميتة تنتقم بتجميد التقدم ، و أما الأفكار القاتلة فإنها تنتقم بتدمير التقدم ، وهذه الأفكار تؤثر أيضا في التاريخ لذا فالشعب يكون على هامش هذا التاريخ ، و يعرف مالك بن نبي " الفكرة الميتة " فيقول بأنها فكرة خذلت أصولها و انحرفت عن نموذجها المثالي و لم يعد لها جذور في محيط ثقافتها الأصلي [2]، و يعرف " الفكرة القاتلة " بأنها فكرة فقدت شخصيتها و قيمتها الثقافية بعد أن فقدت جذورها التي ضلت في مكانها في عالمنا الثقافي الأصلي ، و إن كل من الفكرة " الميتة " و الفكرة " القاتلة " خيانة مما يجعل لمشكلتها جانبان إما أنها ضارة و إما أنها سلبية [3].

و يستشهد مالك بحكمة سقراط و هي أن الأفكار المقتولة أو المخذولة تنتقم انتقاما مخيفا، و يؤكد هذا الكلام مالك بن نبي في أن التاريخ الغابر هو التاريخ الذي حصل فيه هذا الشكل من الانتقام حين استولى " يوليوس قيصر " على " روما" و قد قضى جمهوريتها فماتت و هي على قيد الحياة بمعنى أنها " شاخت " و موتها كان نتيجة التحولات الخفية التي طرأت على الروح الرومانية ، و العالم الإسلامي أيضا اليوم يحمل نتائج انتقام الأفكار المخذولة و السبب يعود إلى تاريخه البعيد إلى تلك القصة التي حدثت بين علي رضي الله عنه و معاوية ، و هنا تظهر لنا روح الديمقراطية التي قدمت نموذجا مثاليا (مجتمع

---

[1] الأخضر شريط ، مشكلة التاريخ عند مالك بن نبي ، مقال من رسالة لنيل شهادة الماجستير ، معهد الفلسفة، 1988م-1989م ، ص 90 .

[2] مالك بن نبي ، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي ، المصدر السابق ، ص 209 .

[3] المصدر نفسه ، ص 209 .

الأنصار و المهاجرين) قد بدأ في هذه القصة بحيث نلاحظ أن من يريد أن يكون متدينا فما عليه إلا أن يلحق بركب علي ، و لمن أراد أن يكون على مقام كبير من الصحة عليه أن يتبع معاوية ، في حين أن الآية الكريمة تفصل الفصل القاطع في هذا الانفصام الموجود بين الدين و الدنيا ، حينما تقول : **{قُلْ إِنَّ صَلَاتِي ونُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}**[1]، إذا فإن القضية تهم روح الديمقراطية ، و قد بدأت مع تلك القصة التي ذكرناها آنفا و بعبارة أخرى فإن الفكرة " الميتة " التي صدرت آنذاك لم تكن سوى لتتحمل الأجيال التالية لها نتائجها ، و هكذا أوصلتنا تلك الفكرة لما انتقمت إلى عصر ما بعد التحضر ، و نفس الفكرة المخذولة وجدناها عند " أبي العباس " حين كان يقول " للحسين بن علي " حين كان هذا الأخير ذاهبا إلى أهل الكوفة " إن هؤلاء القوم سيخذلونك كما خذلوا أباك من قبل ، لا تصدقهم ، إن قلوبهم معك ، لكن سيوفهم مع يزيد " [2]، و هذه القصة الثانية التي نراها لا تضع أمر المسلم بين خيارين لا ثالث لهما بين أن يكون إما مع قلب الحسين و أهل الكوفة ، أو بين أن يكونوا شاهرين سيفهم عليه ، و في كلتا الحالتين هنا نلاحظ دور الأفكار المخذولة فيها ، و إن هذا الأمر في الحقيقة له أثر على الصعيد النفسي إذ يجعل الفرد قليل الفعالية في العمل المشترك من أجل السيرورة التاريخية ، أو يجعله لا ينتج شيئا ، كما أن له أثر أخلاقي إذ نجد المسلم خاشعا أمام المحراب و مصاب " بالزيغ " خارج المحراب و كأن ضميره ملطخ ، و مادي كذلك فإن الثمار المادية التي يقطفها ليست لها قوة عالم اقتصادي.

و لا يفوتنا أن نشير أن المجتمع الإسلامي و كل مجتمع إذا أصابته الأفكار المخذولة و التي كما قلنا أنها تنتقم سواء طال الأمر أم قصر ، فإنه يحملها من جيل إلى جيل سواء يشعر أم لم يشعر ، يحملها كتراث ثقافي ، و كأن توريث الأفكار المخذولة سواء " الميتة " أو " القاتلة " مرهون عند كل جيل في أرشيف ذلك الجيل ، فلذلك نلاحظ أن هذا

---

[1] سورة الأنعام ، الآية 162 .

[2] مالك بن نبي ، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي ، المصدر السابق ، ص 213 .

المجتمع الإسلامي مغلوب على أمره ، إذ أنه إما أن تنتقم منه الأفكار " القاتلة " التي دفنتها الحضارة الغربية في التاريخ فيلجأ إلى تقليدها فتنتقم منه لأنها أصبحت " قاتلة " ، و إما أن يلجأ أيضا في أفكاره إلى تقليد العادات الفكرية " الميتة " من أصالته فنجدها أيضا تنتقم منه لأنها في الأخير تكبله في الجهود و الخمول و ليس في التقدم ، أما الأولى فإنها تعمل على تدمير التقدم فيه .

لقد تتبعنا قضية الأفكار المخذولة و دورها الضار و السلبي ، ليس و حسب في حضر الشعب بل في تاريخه على مدى محور الزمن ، و كما يقول مالك بن نبي :<إن التاريخ لا يصنع بالاندفاع في دروب سبق السير فيها و إنما يفتح دروبا جديدة ، و لا يتحقق ذلك إلا بأفكار صادقة تتجاوب مع جميع المشاكل ذات الطابع الأخلاقي ، و بأفكار فعالة لمواجهة مشكلات البناء في مجتمع يريد إعادة بناء نفسه >[1]، و الآن سنحاول تتبع دور الأفكار الفعالة و النافعة في التاريخ ، لكي يتسنى لنا معرفة متى تكون الأفكار صادقة أو صحيحة لأن كل من صحة الفكرة و صدقها يؤهلانها فقط لأن تلعب دورها تاريخيا ، إن كل فكرة صحيحة لا تؤثر على الثالوث الاجتماعي : الأشخاص ، الأفكار ، الأشياء هي حقيقة ميتة ، إن حياة الأفكار شبيهة بحياة الجنين في بطن أمه ، مع تطور مراحله المعروفة لكنهما يختلفان من حيث الغايات ، إن الظروف التي تولد فيها الفكرة تمهد العناية الإلهية حتى تجعل من تلك الفكرة فعالة في مجتمع ما ، كأن يكون ذلك الظرف هو نفسه الذي حدث للفكرة القرآنية في المجتمع الجاهلي ، إذا إن كل فكرة تولد لا بد من أن تكون هناك مراعاة لمولدها سواء شعرنا نحن أم لم نشعر و الأمثلة كثيرة في هذا السياق نجد الفكرةالماركسية التي ما كانت لتكون مثلا لو لم يطرأ هناك ذاك التطور الثقافي و الاقتصادي ، إذ أن ظرف انتقال المجتمع الأوروبي من إقطاعي إلى مجتمع رأسمالي هو الذي جعل من المفكر " كارل ماركس " يقول أن البرجوازية تحمل بذور فنائها بيدها هذا على الصعيد

[1] مالك بن نبي ، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي ، المصدر السابق ، ص 220 .

الثقافي ، أما اقتصاديا فإن ما ترتب من تطور في القرن الثامن عشر " إنجلترا " ومن التحولات اجتماعية و أخلاقية كذلك كلها كانت عوامل مهمة في انتقال الفكرة الماركسية إلى "لينين " كي يعمل على تطبيقها في روسيا البلشفية سنة 1917م ، و لا يمكن نسيان عامل آخر و هو غياب المبررات الثقافية التي كانت للبرجوازية في أوروبا باسم الاشتراكية و مبدأ السلام العالمي و العدالة الاجتماعية[1].

و كذلك الحال عند ظهور الفكرة القرآنية إذ أن التغيرات الاجتماعية أصبحت في المجتمع الجاهلي مهيأة الظرف الذي أوجد محمد صلى الله عليه و سلم بفكرته القرآنية ، تعني تفاهم الوضع الاجتماعي الجاهلي من حيث انتشار بعض العادات السيئة وهدر الأخلاق و القانون الاجتماعي ، تهيئة هذا الوضع ليس من أجل أن تثور طبقة العبيد متحلية في شخص بلال رضي الله عنه على سيده وحسب ، بل هي تتعدى ذلك إلى إعلان التحدي على سادة قريش ، بقوله أحد ، أحد ...

إذن الفكرة تحيا عندما تساعدها ظروف خارجية عن نطاق الإنسان وعن شعوره ثم إن الفكرة إذا ولدت في وسط يكون فيه تزاحم الثقافات و كأنها تكون أيضا مطاردة من أفكار مضادة و هو عين ما حدث للفكرة المسيحية لما نزلت في بيت " لحم " و وجدت تاريخها حافل بالصراع الحضاري ، غير أن عليها هذه الفكرة المسيحية أن تولد ثانية و إذا بها تهاجر من موضع مولدها إلى الشعوب الأوروبية فحتى الشعوب الجرمانية [2]، إذا من خلال تحليلنا السابق لقيمة الفكرة نجد أن الفكرة تكون صحيحة في حالة ما إذا كانت صالحة أيضا أي أن قيمة الفكرة مشروطة أيضا بمدى صحتها الرياضية و هذا المعنى يقول مالك بن نبي: **<**قد تكون فكرة صحيحة و ليست صالحة كما أنه قد تكون فكرة صحيحة و فقدت صلاحيتها

[1] الأخضر شريط ، مشكلة التاريخ عند مالك بن نبي ، المصدر السابق ، ص 94 .

[2]. المرجع نفسه ، ص 97 .

في الطريق >[1]، فالفكرة الماركسية كانت صحيحة في مجالها الجغرافي مثلا ، غير أنها لم تكن صالحة في الشعوب المنتمية إلى محور نصف الكرة الجنوبي ، كما أن الفكرة الإسلامية كانت صحيحة و صالحة غير أنه هناك أسباب ما أفقدتها صلاحيتها في الطريق ، أي ابتداءا من الطريق الذي رسمته واقعة صفين سنة 37 ، و كانت أكثر عمقا ابتداءا من عصر ما بعد الموحدين .

ثم إن الفكرة بماهي فكرة تكون فعالة بمقدار ما تكسب من صحة و قوة في التحدي ، و عبر ابن خلدون عن هذا المعنى حين قال : " الحقيقة قوة لا يقاومها شيء و الكذب أي الكفر هو أن يتوارى تحت ضغوط الإنارة العقلية " [2]، و الحقيقة كما يقول مالك بن نبي أن الفكرة تكون فعالة بمقدار ما تملك من فعالية صاحبها ، بمعنى أن الفكرة يمكنها أن تشق طريقها في التاريخ إذا كانت هذه الفكرة تحمل عوامل القوة الفاعلة ، و لتكن مثل كلمة " اقرأ" في غار حراء ، فإننا نجد في هذه الحال كلمة " اقرأ " لم تكن لتعلن القراءة على الناس و حسب أو اكتساب العلم بل من أجل هدف أهم و هي أن تقرأ من أجل اليقين بالحقيقة .

نستخلص في الأخير أن التاريخ عند مالك بن نبي عبارة عن نشاط مشترك لكل من " عالم الأشخاص " و " عالم الأفكار " و " عالم الأشياء " ، فعالم الأفكار هو العالم الذي يعد الجوهر الأساسي في سير الحركة التاريخية و التاريخ النظري يؤكد لنا أن الأفكار الميتة و القاتلة كلاهما شر ، لا يساعدان في سير الحركة التاريخية ، لعامل كامن فيهما و هو عامل الانتقام ، أي أنها تنتقم أشد انتقام ، ثم إن التاريخ يقوم بالفكرة الفعالة و الصادقة و كل فكرة لا تبقى كذلك تؤدي بالتاريخ إلى الهاوية أو تؤخر تقدمه و تدفع به نحو الهامشية .

---

[1] مالك بن نبي ، وجهة العالم الإسلامي ، تر: عبد الصبور شاهين ، إصدار ندوة مالك بن نبي ، دار الفكر ، دمشق ، 1983م ، ص 73.

[2] أخذنا هذه العبارة لابن خلدون من مجلة " ماذا أعرف عن الإسلام " ، الصادرة بالفرنسية ، عن مسجد طلبة جامعة لجزائر ، عدد رقم 10 ، لعام 1973م ، ص 50 .

المطلب الثالث : عالم الأشياء

هي المرحلة الأخيرة من التأسيس الحضاري بوصفها ثمرة للجهود السابقة المبذولة ، فهي تأتي ترجمة لنجاعة المناهج المعتمدة في تكوين الأشخاص أولا ثم تكوين الأفراد المتولدة بدورها عن المرحلة السابقة المنسجمة مع مبادئها و أهدافها [1]، و تعد هذه المرحلة هي آخر مرحلة بعد مرحلة تكوين الأشخاص و مرحلة تكوين الأفكار النابعة من مرحلة الأشخاص ، و تكون مرحلة الأفكار ذات انسجام و تناسق ، و الغاية التي تسعى إليها و هي إبراز دورها في إحداث تغيير يكون فعالا و بناءا في مسار و حركة المجتمع ، و يكون ذلك من خلال التوجيه الإيجابي و السليم القائم على مناهج علمية مختلفة .

و التوجيه عند مالك بن نبي : **>** قوة في الأساس ، و توافق في السير ، و وحدة في الهدف ... فكم من طاقات و قوى ضاعت فلم تحقق هدفها حيث زحمتها قوى أخرى صادرة عن نفس المصدر ، متجهة إلى نفس الهدف **<**[2]، إن التوجيه يلعب دورا أساسيا و رئيسيا في حياة المجتمع ، و لهذا فإن غيابه يؤدي إلى كوارث و قد تمس المبادئ و القيم الاجتماعية ، مما يؤدي إلى فساد المجتمع و انحلاله ، و بالتالي تدهور البناء و النهوض الحضاري ، لأن الإنسان هو المسؤول عن حركة التاريخ أو ركوده و جموده و فعالية الإنسان تؤدي إلى تطور و تقدم المجتمع و التاريخ ، حيث قال مالك بن نبي :**<** إن صناعة التاريخ تتم تبعا لتأثير طوائف اجتماعية ثلاثة ، تأثير عالم الأشخاص ، تأثير عالم الأفكار ، تأثير عالم الأشياء **>**[3]، حيث أن هذه العوالم الثلاثة تعمل عملا متداخلا و متكاملا ، أي أن نشاطها يكون متوافق و منسجم مع بعضها البعض و يؤدي بدوره إلى تطوير المجتمع و بناء حضارة، و الآن سنتطرق إلى تعريف عالم الأشياء حسب ما جاء به مالك بن نبي :

---

[1] بشير ضيف الله ، فلسفة الحضارة في فكر مالك بن نبي ، د م ، د ط ، 2014م ، ص 96 .

[2] مالك بن نبي ، شروط النهضة ، تر: عبد الصبور شاهين ، دار الفكر ، ط3 ، 1992م ، ص 87 .

[3] جيلالي بو بكر ، البناء الحضاري عند مالك بن نبي ، دار المعرفة ، باب الواد ، الجزائر ، 2010 م ، ص 42 .

إن عالم الأشياء كما جاء في تعريف مالك بن نبي : < فهو كل ما يحيط بالإنسان من عوامل مادية و ثقافية > ، و عالم الأشياء في نظره هو عامل مهم في قيام عالمي الأشخاص و الأفكار بدورهما المنوط بهما في صناعة التاريخ ، فعالم الأشياء هو أول ما يلفت نظر الطفل منذ الولادة فالثدي بالنسبة له أكثر من شيء قد تقوم الرضاعة مقامه و ينقسم عالم الأشياء حسب مالك بن نبي إلى قسمين : عالم الأشياء الثقافي ، وعالم الأشياء المادي .

– عالم الأشخاص الثقافي : وهو ما يسميه بمرض الشيئية وعلاقته سلبية بالتاريخ لأنه يعد من أخطر الأمراض التي حذر منها مالك بن نبي و هو نفسه المرض الذي سبب في الوضع الذي تعيشه الأمة الإسلامية اليوم ، فلقد أدى الإعجاب بالحضارة الغربية إلى انبهار بعالم أشيائها و محاولة استيراد تلك الأشياء للنهوض و التطور و إعادة بناء الحضارة الإسلامية [1]، ولنبدأ بتحديد مصلح الشيئية ، يعني مفهوم " الشيئية " حسب مالك بن نبي أي كل منتوج مادي أو ثقافي في نطاق تكديس المال في البنك أو غيره ، و هو حسب مالك بن نبي لا يفيد صاحبه في شيء ، لأن صاحب هذا الشيء أي " الثروة " لا يفيد نفسه بهذا المال و لا غيره ، و المفروض أن يوظف هذه الثروة في مشاريع تهمه أو تعود عليه بالفائدة و على المجتمع .

و أما الشيئية بمعنى الحرفية في الثقافة : و هي التي تولد الحرفية في المجال الثقافي فهي ناتجة عن نوعين من التعليم ، فأما أن يكون التعليم موجها لتكوين الخبرات العقلية ، في هذه الحال بعضها فوق بعض إذ أن الإنسان المتعلم في هذه المرة يكون مكتبة متنقلة و خزان من المعلومات و وعاء لملأ الخبرات لا أكثر و لا أقل ، و هو شبيه أيضا بذلك الشريط المسجل على " أكاسيت " ، مما يعني كذلك أن هذا الإنسان يصبح لا يفعل شيئا

[1] يوسف موساوي ، مالك بن نبي و موقفه من قضايا عصره ، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في تخصص التاريخ المعاصر ، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، جامعة محمد خيضر بسكرة 2012–2013م ، ص 67 .

سوى أنه يعيد ما امتلأ به من أفكار لتفريغها تفريغا آليا ، و ليكن هذا العامل أستاذا بالجامعة ، أو مهندسا أو طبيبا أو غيره ، فإن العامل المشترك بين هؤلاء الذين داهمتهم الشيئية في أفكارهم هو أن يصبحوا نواقيس ترن مت أردنا أن نسمع رنينها ، و يعلق مالك بن نبي على هذا النوع من " المثقفين " بأنهم أصحاب " التعالم " [1].

كما يرى مالك بن نبي أن الحرفية في الثقافة تسبب أمراضا خطيرة نفسية منها و اجتماعية يصعب معالجتها و هذه الأمراض هي : فنفسيا نجد الإنسان الحرفي في ثقافته مصاب أو متأصل فيه مرض نفسي يسمى ذهان السهولة Psychos D'facilité ، إذ يصبح صاحب " التعاليم " هذا لا يستطيع أن يعمل شيئا و نجده طوال اليوم يبحث عن "الشيء" السهل الذي يكسب به قوته اليومي ، لكن هذا الداء الذي استفحل خاصة عالمنا الإسلامي من مشرقه إلى مغربه و كما قلنا من الصعب علينا محاربة هذا النوع من الثقافة الشيئية الذي لا يعمل إلا في الظلام أي أنه مثبت في وسط شعبي أمي ، و إن مرض السهولة هذا المنتشر في صاحبه يلقي به أيضا إلى أن يمتهن حرفة رجل " البوليتيكا" هذا إذا تمكنت أجهزة الرصد الشعبية من كشفه بدفع من أحد ضمائرها ، و في هذه الحال يكون قد فوت الفرصة أمام ضمير الشعب لأن يلقي القبض عليه من جهة و من جهة أخرى فإنه حينما يتسلل إلى " كرسي " السياسية يصبح أكثر عالة على شعبه .

و الآن و قد عرفنا مدى خطورة الحرفية في الثقافة من جانب ذلك المتعالم الذي يشغل كرسيا كإطار سام أو كذا أو كذا ... و بمعنى آخر ذاك المتحصل على شهادة (أي ديبلوم) الشيئية ، و الآن تأتي إلى تحليل " المتعالم" الذي لا يملك شهادة تؤهله لأن يقوم بعمل ما ، و نجد هذه الظاهرة متفشية بصورة أو بأخرى في رجل ما بعد الموحدين ، إذ أنه يلجأ إلى أن يستورد حتى عالم الأشياء ، و يرى مالك بن نبي أن ذلك ليس عيبا ، فلا بأس أن نستورد الطب و الطبيب و المطبعة و الأستاذ و معلوماته و المهندس و آلاته و

[1] الأخضر شريط ، مشكلة التاريخ عند مالك بن نبي ، المرجع السابق ، ص 103 .

الصيدلي و أدواته ما دمنا نحن لا ننتج هذا كله ، و لكن هناك جانب آخر يتعلق بسلوك المجتمع نفسه و موقفه أمام الشيء المستورد ، و بشرط حسن استعمال المستورد [1].

و وجدنا الأشياء نفسها في اليابان استوردها كما استوردناها نحن من الحضارة الغربية ، و لكن التاريخ كشف لنا أن تلك الأشياء لم تؤدي في نهضتنا الدور الذي أدته في نهضة اليابان فنستنتج هنا أن الأشياء لا تؤدي مفعولها الاجتماعي تلقائيا و لا تؤثر وحدها في الدوافع الاجتماعية و إنما تؤثر بقدر ما يضاف إلى مفعولها من دوافع نفسية و توجيهات فكرية معينة ، فالشعب الياباني كان هدفه من الأشياء التي استوردها هو وسائل يواجه بها بناء حضارة و البناء لا يتم فقط بالأشياء مهما كانت صلاحيتها و ثمنها و إنما يتم بالدوافع التي تحرك الأشياء : " الفكرة التي تربطها في العملية الاجتماعية و عندما لا يكون في هذه العملية سواءا الأشياء وحدها فالنتيجة تصبح في حكم الصدف لا في حكم التقدير ... و كأننا كنا نحاول بناء حضارة بمنتوجاتها " [2].

كنا قد عرفنا حسب تحليل مالك بن نبي أن الشيئية مرض عضال إذا تأصل في نفسية الفرد يصيبه بداء " ذهان السهولة " ، أما اجتماعيا هو أن يصبح الفرد باعتباره العضو المشارك في بناء المجتمع و بالتالي في صنع التاريخ يقدم حقوقه على واجباته ، مما يعني أيضا أنه يكون فردا ماديا و في هذه الحالة يصبح هذا المجتمع يعيش على المعادلة المشهورة– حق – واجب – استهلاك مما يجعل اقتصاد الوطن ككل ينهار تحت صيحات الاستهلاك دون إنتاج ، و كذا لاحظنا كل المجتمعات التي مرت عبر التاريخ عندما تفقد إنتاجها (سواء المادي منه أو الثقافي) فإنها تنهار تحت عصا دولة أخرى .

[1] الأخضر شريط ، مشكلة التاريخ عند مالك بن نبي ، المرجع السابق ، ص 104 .

[2] مالك بن نبي ، حديث في البناء الجديد ، منشورات المكتبة العصرية ، بيروت ، ص 193 .

أما " عالم الأشياء المادي " : و هو ما يشكل العالم الاقتصادي لحياة الفرد و الجماعة ، إن عالم الأشياء لا يقوم وحده بل يقوم على العوالم الأخرى ، و التي تتحكم فيها جميعا القوة الروحية أو ما يمكننا أن نسميه القيمة الخلقية (الأخلاقية) [1].

و حسب مالك بن نبي فإن شروط الديناميكا الاقتصادية تتحدد كالتالي :

1) لقمة العيش حق لكل فم .

2) العمل واجب على كل ساعد .[2]

حيث أن هاتين المسلمتين تكون صورتهما منطقية ، إذا قلنا أن لا إنتاج من دون استهلاك و لا استهلاك من دون إنتاج ، و المسلمتين غير ممكنتين لتحقيق إذا ما تصورناهما بعيدتين عن ذلك الكساد للطاقات الاجتماعية الذي يطلق عليه اليوم اسم 'التخلف' [3].

و ضمان لقمة العيش لكل فم مرهون بالواقع السياسي في البلاد ، و لقد تعرض مالك بن نبي في نظرته هذه اعتراضات حين كان يقيم بمصر سنة 1956 ، إذا أنه و حسب رأي الاعتراض : و كما يقول رد على هذه الاعتراضات : فالقضية ليست قضية قصور في الإمكان بل قصور في التصرف السياسة و التخطيط [4]، و يركز مالك بن نبي على أن نقوم بالوثبة إلى الأمام و ذلك لكي نخرج إلى اقتصاد مخطط [5].

---

[1] الأخضر شريط ، مشكلة التاريخ عند مالك بن نبي ، المرجع السابق ، ص 107 .

[2] مالك بن نبي ، المسلم في عالم الاقتصاد ، تر: عبد الصبور شاهين ، إصدار ندوة مالك بن نبي ، دار الفكر ، بيروت ، دمشق ، 1981م ، ص 80 .

[3] المصدر نفسه ،ص 81 .

[4] المصدر نفسه ، ص 81 .

[5] المصدر نفسه ، ص 82 .

إن الإرادة تكشف " الإمكان " بمعنى أن الإرادة الحضارية تصنع الإمكان الحضاري اجتماعيا و نفسيا ، و هو ما تشير إليه الآية القرآنية : **{إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ}**[1].

يضرب لنا مالك بن نبي مثال: ألمانيا و كيف تمكنت من بناء نفسها في فترة قصيرة بعد الحرب العالمية الثانية ، وبعد كما هو معلوم أن دمرتها الحرب و خاصة في جانبها الاقتصادي ، و لاحظنا أنها أعادت ما خسرته في الحرب و الذي قدره الاقتصاديون آنذاك بحولي 80 بالمئة من اقتصاديات البلاد ، و السبب في ذلك واضح أن ألمانيا تخلصت من الشيئية بفضل ما كانت تملك من عالم أفكار ، و كذلك نفس الشأن بالنسبة لليابان معجزة القرن العشرين بعد أن كانت تعيش في تخلف كبير تمكنت بفضل :

– أولا : أنها بنت عالم أفكارها على أساس واضح في علاقتها مع الغرب و الحضارة الغربية.

– ثانيا : تمكنت من إرساء قواعد اقتصادها ، حتى أصبحت اليوم تحتل المرتبة الأولى في الاقتصاد العالمي ، فتنافسه أمريكا و روسيا و دول أوروبا الغربية على المرتبة الأولى .[2]

و نلاحظ أن عالم الأشياء ضروري مع العوامل السالفة الذكر لسير الحركة التاريخية.

و يقدم لنا مالك بن نبي أمثلة عديدة عن " عالم الأشياء " الذي أصابه التكديس في الغرب ، ذلك هو ما يتكلم عنه المفكر الفرنسي " غارودي " في كتابه " كلام الرجل " إذا يرى أنه التضخم الذي أصاب الحضارة الغربية في عالم أشيائها أنه هو الممهد الكبير لكي تزول هذه الحضارة و هناك عبارة قصيرة يوردها في هذا المقام حين يقول " إن الغرب هو الصدمة ... " ، و هنا فإننا نقول أن العالم اليوم يعاني في محور واشنطن – موسكو : آلام

[1] سورة الرعد ، الآية 11 .

[2] الأخضر شريط ، مشكلة التاريخ عند مالك بن نبي ، المصدر السابق ، ص 110 .

التكديس طبعا في عالم الأشياء : فنجد أن العالم الأول – عذاب التضخم – أدى به إلى أن يفقد مبرراته الثقافية فنلاحظ أن السويد مثلا – أكبر دولة أوروبية حققت ليس و حسب الضروريات بل الكماليات أي بمعنى أن الفرد فيها يعيش بحبوحة النعيم – تجدها تتصدر الطبيعة في ظاهرة الانتحارات و الإدمان على المخدرات [1].

و من جهة أخرى فإن آلام التكديس الذي أصاب محور دول الجنوب أدى بها كذلك إلى شكل آخر من الانتحارات يمكننا أن نسميه " الانتحار الطبيعي " و حين نجد مظاهر الرفاهية في الغرب ، فإننا نجد الشعوب تموت من آلام الجفاف و الجوع هناك في جنوب السودان و أثيوبيا و ... ، و هذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن التكديس سواءا في المال و الذي يسميه مالك بن نبي " الثروة " و في الأشياء الأخرى أدى إلى هلاك شعوب تدعي أنها تعيش تحت " راية الإسلام " كما يقول سيد قطب .

و لمعالجة الأمر يجب التحلي بحكمة الخطة الاقتصادية المنتظمة و لا فائدة من إضاعة الوقت ، و يجب مراعاة المعادلة التالية :

1) حق– واجب = استهلاك .

2) حق + واجب = إنتاج .

3) حق < واجب .

و على كل خطة اقتصادية مراعاة أن المنتوج لا ينتج المنتج ، بل المنتج هو الذي ينتج المنتوج ، و عليه فإن بهذه الحقيقة وحدها يمكن لعالم الأشياء أن يفسح المجال لسير الحركة التاريخية [2].

---

[1] مالك بن نبي ، دور المسلم و رسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين ، إصدار ندوة مالك بن نبي ، دار الفكر ، بيروت ، دمشق ، 1982م ، ص 25 .

[2] الأخضر شريط ، مشكلة التاريخ عند مالك بن نبي ، المرجع السابق ، ص 111 .

لاحظنا أن التاريخ حسب ملك بن نبي لا يقوم ليشكل حضارة إلا في شكل عوامل ثلاث و لكن هذه العوامل لا تعمل متفرقة بل تتوافق في عمل مشترك تأتي صورته طبقا لنماذج إيديولوجية من " عالم الأفكار " يتم تنفيذها بوسائل " عالم الأشياء " من أجل غاية يحددها " عالم الأشخاص " [1].

المبحث الثاني : أسس الحركة التاريخية

المطلب الأول : معامل الفعالية

إن معامل الفعالية يعني بكل بساطة عند مالك بن نبي العنصر المشترك بين مجموع العوامل الطبيعية و الميثافيزيقية والاجتماعية أي أنه العنصر الذي يساهم إلى حد ما في بعث الحياة النفسية في الحركة ، مهما كان تشكل هذه الحركة .

والحقيقة أن بن نبي يرى أن التاريخ مجتمع من المجتمعات مهما كان بدايته هو: تجاوب هذا المجتمع الظرف استثنائي ، و أن الظرف الاستثنائي هذا يأتي نتيجة تلقائية لعمل جماعة ما في التاريخ وهو نفسه ما حصل للمجتمع القبلي الجاهلي وقت أن كان محمد صلى الله عليه وسلم يتعبد في غار حراء ، فهذا العمل من جانب الرسول صلى الله عليه وسلم في غار حراء ومن ذاك المجتمع الذي كان يضم عناصر جاهلية لخصه لنا جواب الصحافة ، بعد نزول آيات تحريم الخمر حيث قالوا :" انتهينا يا رسول الله " نقصد طبعا بعد أن نزلت آية :**{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَ الْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُم تُفْلِحُونَ}**[2]، إذا أن المصير المشترك بين محمد صلى الله عليه وسلم وقومه ، ما كان ليكون تاريخا حافلا بالذكريات وحافلا بحضارة خيمت بين طياتها العلم والدين معا طوال قرون عدة ، لولا مصير واحد هو الظرف الاستثنائي ممثل بكلام الله عز

[1] مالك بن نبي ، ميلاد مجتمع ، المصدر السابق ، ص 23 .

[2] سورة المائدة ، الآية 80

وجل**{ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ}**[1]،إذا أن أي عمل في التاريخ لا يأخذ حقيقته إلا إذا كان مستمدا من روح أصيلة عرفت لأول مرة نتيجة مصائر شتى تحكمت فيها .

ونتيجة لظهور ما يسميه مالك بن نبي بالبذرة الدينية أي معامل القدرة على العمل ، ومعامل القدرة على القيام ببناء ، مهما كان هذا البناء ومهما كان تشكله . " ولبذرة الدينية " عملها هو نفسه عمل النطفة في عالم البيولوجيا ، فهي أساس الكائن الحي في عالم الحيوان، الأولى أساسها بناء الذات الفردية و الذات الاجتماعية معا في آن واحد [2].

ويضيف لنا بن نبي في تحليله لهذا المعامل الذي هو " البذرة دينية " وهو معامل الفعالية : أنه أساس مقتبس من فكرة " توينبي " : التي يرى فيها عمل يخضع إلى حدين : حد سلبي وحد إيجابي ويراعي بذلك الحد السلبي وهو الحالة التي تكون عليها النفس " الضمير " في حالة الضعف وبعبارة أخرى كيف يكون الضمير عندما يضعف أمام التحدي و الاستجابة ولجواب هوا أنه في هذه الحالة فإن الاستجابة أقوى والعكس صحيح ، وعندما يضعف الضمير فإن التحدي يضعف ، وبالتالي الاستجابة أيضا تضعف ، ومالك بن نبي يضفي على هذا التفسير وهو تفسير " توينبي " طابعا آخر غير الذي صاغه منه " توينبي " وهو تلك الهدية التي عثر عليها في القرآن الكريم أي أن الضعف وقوة الدوافع الحيوية طبيعية ، غير أن الشيء الذي يبقيها غافلة سواء في الحالة الأولى أو في الحالة الثانية هو حالة " تجاوب " الشروط النفسية للقوة الروحية ، من خلال هذا الكلام يتضح لنا أن الإنسان بصفته أضعف كائنات خلق الله فإنه تارة عرضة للقوة و التطور (أي قوة للنفس خصوصا) وتارة أخرى فإنه يعاني ضعفا كبيرا في قواه النفسية [3].

---

[1] سورة العلق ، الآية 1

[2] الأخضر شريط ، مشكلة التاريخ عند مالك بن نبي ، المرجع السابق ص 50 .

[3] المرجع نفسه ، ص 52

ويضرب لنا مالك بن نبي مثالين عن هذه الحالة أي حالة قوة التحدي ، وقوة الاستجابة و المثال الأول يصوغه لنا هو:إن رجلا كالشيخ الإمام ابن باديس لم تكن لتنجيه يده الضعيفة أمام محاولة الاغتيال التي قام بها الفرنسيون ضده ، لولا اشتداد قوة الروح أو ما يمكن أن نسميه بقوة الفعالية ، حيث لوحظ أن الزعيم الروحي للثروة الجزائرية آنذاك ، ولحركة التاريخ ، قد تعرض لمحاولة الاغتيال التي كان من ورائها الاستعمار الفرنسي ، ولكنه نجى منها بأعجوبة و أوقف يد الرجل الذي يحاول اغتياله بيده الضعيفة [1].

و المثل الثاني الذي يتطرق إليه مالك بن نبي هو مثال ذلك الأمر الرباني " ليحي عليه السلام " في القرآن الكريم و الممثل في أمر الله تعالى يحيى عليه السلام بأن يأخذ الكتاب بقوة فقال له :**{يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ[2]}**،إذ أن كلمة خذ الكتاب بقوة كانت دليلا على أن يحيى عليه السلام عليه أن يأخذ الكتاب لكن مع شيء من الفعالية النفسية الروحية و بعبارة أخرى على يحيى أن يتحلى بالكفاءة للأخذ بالكتاب على المستوى النفسي ، لأنه و من المعروف أن قوة الإنسان تكمن بداخله و ليس بخارجه ، و هناك أمثلة أخرى تدعم هذه الفكرة من واقعنا التاريخي المعاصر ، و منها التاريخ الذي عايشه آباؤنا و أجدادنا ، و مدى صبر المجاهدون الجزائريون في قصة ردهم لعدوان الاستعمار الفرنسي أيام الثورة الجزائرية ، خصوصا و أن ميزان القوة المادية كان لصالح كفة الاستعمار الفرنسي ، و على الرغم من ذلك كان الاستقلال و النصر حليف الجزائريين رغم أنف الأعداء و على رأسهم الجنرال " ديغول " ، و عندئذ دقت ساعة ميلاد مجتمع هو المجتمع الجزائري الذي كان غائبا عن الساحة السياسية و الدولية و التاريخية ، و تدق ساعة الميلاد و عندما تكون لجماعة فعالية و قوة نفسية في الدفاع عن الإنسان و كرامته و شرفه من جهة ، و من جهة أخرى عندما يريد المجتمع أن يعيد بناء تاريخه و حضارته ، إن الفعالية من لحظات الميلاد ، و لكن إذا

[1] مالك بن نبي ، تأملات ، تر : عمر كامل مسقاوي ، ط4 ، دار الفكر ، دمشق 1979 م ، ص39

[2] سورة مريم ، الآية 11 .

كنا قد تكلمنا عن هذه الفعالية فإنما أردنا أن نثبت فكرة هي فكرة الفاعلية ، و السؤال الذي من الممكن أن يطرح علينا هو كيف تتجلى هذه الفاعلية ؟ و ما هي شروطها ؟

و لنجيب على ذلك فنقول : أن الفاعلية تشترط ثلاث عوامل حسب مالك بن نبي : إنها تشترط الطاقة و هي البذرة الدينية ، ثم تشترط الوسط الذي يعد أهم عامل يساعد على النمو ، ثم تشترط الفطرة [1]، و سنذكر الآن بالتفصيل هذه الأشياء التي يشترطها بن نبي لعامل الفعالية و لنبدأ بالعنصر الأول :

إن العنصر الأول هو البذرة الدينية ، لا يمكنه أن يقوم وحده ، أي أنه يتطلب شرط الوسط ، و شرط الفطرة ، و كلهم يتماشون معا ولا يمكن فصل واحد عن الآخر إذا اقتضى ذلك المنهج ، إن معامل الفعالية يقوم على أساس البذرة الدينية لأن هذه الأخيرة تعمل عمل الطاقة للمحرك فإنها هي التي تزود المحرك أي المجتمع التاريخي لأن يسير و يواكب التقدم نحو الحياة الراقية و تعلمه كيف يتحضر .

و أما العنصر الثاني ، أو الشرط الثاني لقيام الفعالية فهو عامل الوسط إن مجتمعا كالمجتمع الذي قام بعد عصر الانحطاط ما كان عليه ليقوم من نومه و لو جئنا له بحالة كحالة " غار حراء " .

أما الشرط الثالث فهو الفطرة و نقصد بها أن مجتمع الفطرة يكون أكثر تفاعلا و تجاوبا مع الفاعلية من المجتمع السياسي .[2]

يقول مالك بن نبي مشيرا إلى ما أسلفنا في ذكره : **<** و الفاعلية تكون أقوى في الوسط الذي ينتج أقوى الدوافع و أنشط الحركات ، و أقوم التوجيهات **>**[3].

---

[1] الأخضر شريط ، مشكلة التاريخ عند مالك بن نبي ، المرجع السابق ، ص 53 .

[2] المرجع نفسه ، ص 54 .

[3] مالك بن نبي ، ميلاد مجتمع ، المصدر السابق ، ص 132 .

المطلب الثاني : الوعد و الوعيد

يعرف مالك بن نبي الوعيد بأنه : < هو الحد الأدنى الذي لا يوجد دونه جهدا مؤثرا ، و الوعد هو الحد الأعلى الذي يصبح الجهد من ورائه مستحيلا ، و ذلك حين تطغى قساوة التحدي على القوة الروحية التي منحها الإنسان >[1]، إن تعريف مالك بن نبي يبدو للقارئ على أنه نوعا ما لكن معرفة حقيقته سيزيل عنا هذا الغموض :

– أولا : إن الوعيد هو أية محاولة تكون موجهة لرد الإنسان إلى غايته و مثله في هذا الكون تكون ناجحة ، في حالة ما إذا كان الجهد المبذول من طرف القوة الروحية قويا ، و أعني بالقوة الروحية الدوافع النفسية في حالتها الفطرية ، و في هذه الحال فإن كل جهد كما قلنا يكون مبذولا ، يستطيع أن يؤثر في حياة الإنسان الداخلية ، و بالتالي فإن هذا الأخير يمكن أن يقوم بعمله مهما كان هذا العمل .

– ثانيا : الوعد إنه على العكس من هذا تماما ، أي أن الجهد المبذول من طرف الإنسان تجاه أي عمل ، يكون شيئا مستحيلا ، لأنه لا يمكننا أن ننتظر منه نتيجة سواء كانت هذه النتيجة إيجابية أو سلبية ، ففي كلتا الحالتين يكون الجهد المبذول غير مثمر ، و لأنه كذلك لا يتمكن من أن يحفز الدوافع النفسية في الذات الإنسانية و على هذا الأساس يصبح الجهد المبذول لا تأثير له .

و من خلال فهمنا لفكرة الوعد و الوعيد نرى أن هذين المفهومين شرطان ضروريان كي تقوم النفس الإنسانية بوظيفتها في الجد و النشاط ، و إلا فإنه يستحيل عليها أي عمل يمكن أن تقوم به ، لأنه في هذه الحالة تصبح النفس الإنسانية تتخبط إما في اليأس أو في القنوط ، هذا هو الذي يسبب لها ما يسميه الوجوديون بالتيه و الحيرة و القلق و الكآبة ، لأن الحياة لا غاية و لا قصد من ورائها إلا السقوط في العمل اللاقصدي أو ما يسميه

[1] مالك بن نبي ، ميلاد مجتمع ، المصدر السابق ، ص 69 .

الوجوديون أيضا بالعبث ، فالحياة حسب رأيهم عبث ، و من الناحية الفلسفية فإن الوعد و الوعيد يخضعان للشروط النفسية للفرد و بالتالي للمجتمع ، و عندما تستعد هذه الشروط للحركة عند يكون قد تم تجاوب بينها و بين الحياة الروحية ، و بتعبير عندما توضع الحياة النفسية بين حدين نفهمها من الآيتين الكريمتين :**{ ... فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ}**[1]، و آية **{ ... إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ}**[2]، و يقدم لنا مالك بن نبي أمثلة عن حالة الوعد و الوعيد من التاريخ فيسوق الحالة التي كانت تشد بلال رضي الله عنه إلى الصمود أمام قوة قريش برفع سبابته و قوله : " أحد ... أحد .. " في أحلك محنة و هي نفس التأثيرات التي كانت تشد تلك المرأة الزانية حين طلبت من الرسول صلى الله عليه و سلم إقامة حد الزنا عليها [3]، و هي أيضا الحالة التي كان عليها ابن باديس رائد الإصلاح في الجزائر عندما تعرض لحادثة اغتيال دبرها له الاستعمار الفرنسي فقد حاول أحد المجرمين المدفوعين من قبل الاستعمار ، و كان ذا غلظة و فظاظة و ضخامة جسم ، أن يغتال فضيلة الشيخ عبد الحميد بن باديس المصلح الاجتماعي في ذلك الحين ، فأمسك هذا الشيخ بيده النحيلة التي كانت ضعيفة الخنجر حتى أتته النجدة و منعت المجرم من تنفيذ خطته الإجرامية ، فهذا عمل من أعمال اليد في الحالة النفسية التي تكمن ورائها قوة الفعالية ، لأنه حسب ما يشير إليه مالك بن نبي في كتابه تأملات : **>** فاليد تأخذ ببطش في حالة التوتر **>** و هي حالة نفهمها في آية : **{يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ}**، و هي ليست سوى محققة للنداء أعني النداء الذي يضع الشروط النفسية بين الوعد و الوعيد القرآني[4] .

و إذا كان حد الوعد و الوعيد طرفين ناهيين كأنما يحققان اللافراط و اللاتفريط في الأعمال و الواجبات فمهما يكن حسب مالك بن نبي فالنتيجة المثمرة عمليا يلاحظها في

---

[1] سورة الأعراف ، الآية 99 .

[2] سورة يوسف ، الآية 87 .

[3] مالك بن نبي ، ميلاد مجتمع ، المصدر السابق ، ص 25 .

[4] مالك بن نبي ، تأملات ، المصدر السابق ، ص 39 .

آية:**{وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُلَيَئُوسٌ كَفُورٌ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ}**[1]، كأنما القصة هنا تربوية بالدرجة الأولى و هي تهدف إلى ترقية النفوس نحو غاية مثلى ، و البلوغ إلى هذا الغاية المثلى تتطلب أن تبقى موزونة بميزان تتساوى فيه الكفتان ، و كل ترجيح للكفة يعني إما اليأس و الكفر أو الفرح و الفخر و كل من اليأس و الكفر و الفرح و الفخر يأخذان بنهاية الإنسان إلى الهلاك و الهلاك وحده حيث لا تتحقق الشروط المطلوبة من الإنسان في هذه الدار ، و خلاصة القول أن الحركة التاريخية موقوفة على شروط إقلاعها الأولى و من ضمن هذه الشروط شرط واحد الذي قمنا بتتبع دراسته في هذا الفصل ، و هو وضع نفسية الإنسان في الشرط الوحيد الذي يخول لها الإقلاع أي وضعها بين وعد و وعيد [2].

و نعقب في الأخير على هذا الفصل فنقول أن فكرة الوعد و الوعيد التي يقحمها مالك بن نبي كشرط أساسي للإقلاع في الحركة التاريخية ، إن هذه الفكرة ليست بجديدة ، إذ نادى الفكر الإسلامي بها على أيام المعتزلة حين جعلوها من أفكارهم الخمس ، و نود هنا أن نبين الفرق بين الفكرتين هنا يعني عند مالك بن نبي ، و عند المعتزلة ، فنرى أن المعتزلة " اتفقوا على أن المؤمن إذا خرج من الدنيا على طاعة و توبة استحق الثواب و العوض ، و إذا خرج من غير توبة لكبيرة ارتكبها استحق الخلود في النار ، لكن يكون عقابه أخف من عقاب الكفار ، و أطلقوا على هذا النمط وعدا و عيدا " [3]، أما فكرة الوعد و الوعيد في فكر مالك بن نبي فلا تبقى تأويلا عقليا للتصور الإسلامي كما عند المعتزلة ، بل هي نظرة مقتبسة من لغة علم النفس و علم الاجتماع ، و مدى تجاوب التصور الإسلامي مع هذين العلمين في الفكرة لأن كل علم هو كشف عن الحقيقة بطرق مختلفة .

---

[1] سورة هود ، الآيتين 9 و 10 .

[2] الأخضر شريط ، مشكلة التاريخ عند مالك بن نبي ، المصدر السابق ، ص 59 .

[3] عبد الكريم أحمد الشهر ستاني ، الملل و النحل ، ورد هذا الدكتور محمود قاسم ، نصوص مختارة من الفلسفة الإسلامية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، د ت ، ص 46 .

خاتمة

خاتمة :

و أخيرا بعد انتهاء هذه المحطة العلمية والتي جعلتنا نقف عند محطات مختلفة لموضوع حركة التاريخ ، يمكننا القول أنه موضوع واسع و متعدد وقد حاولنا الإلمام به والتطرق لأهم أجزائه و الخروج منه بجملة من النتائج تتمثل في النقاط الآتية :

- ✓ مالك بن نبي يعد شخصية جزائرية فكرية فردية من نوعها ، له طابعه الخاص وبصماته التي قد ميزته عن غيره من المفكرين العرب ، وانتشر فكره وذاع صيته وترك بريقا لامعا من المعرفة العلم .
- ✓ وتقوم فلسفة " هيجل " على مفهوم " الديالكتيك " أو ما يسميه المنطق الجدلي ، الماركسية ، كي تخلص الشعوب من عصر يسمى " عصر الاستعمار " هذا سياسيا و أما اجتماعيا فذلك كي تكون مثبتة لأسس أخرى كالعدالة الاجتماعية و السلام .
- ✓ لقد أخذ " ماركس " مفهوم الجدل " الديالكتيك " عن " هيجل " رافضا نزعته المثالية ، التي تجعل الفكر (الروح الكلية) أساسا و غاية للوجود ، فصيرورة التاريخ عند " ماركس " محكومة بالتناقض المادي بين قوى الإنتاج و علاقات الإنتاج وهو تناقض ينشأ عنه صراع اجتماعي أو طبقي ، فهذا الصراع الطبقي هو محرك التاريخ .
- ✓ أما " توينبي " فيلسوف التاريخ الإنجليزي الذي تطرق إلى ذكره مالك ين نبي في تفسيره لفكرة التاريخ ، فقد عوض " توينبي " فكرة طرفي المنطق الجدلي بفكرة " التحدي " و الاستجابة .
- ✓ نجد أن مالك بن نبي أقام فكرة التاريخ انطلاقا من فكرة " التحدي " و الاستجابة على ضوء القرآن الكريم بداية من " معامل الفعالية " و " الوعد و الوعيد " مرورا برسم العوالم الأساسية لهذه الحركة التاريخية ، والتي تتمثل في نشاط المشترك لكل من " عالم الأشخاص" و "عالم الأفكار " و "عالم الأشياء"

نستنتج في الأخير أن فكرة مالك بن نبي عن التاريخ تتمحور حول تضافر هذه العوالم الثلاث أي عالم الأشخاص ن وعالم الأفكار و عالم الأشياء بالإضافة إلى "معامل الفعالية"، و "الوعد و الوعيد" هي التي تؤدي إلى صناعة التاريخ و تغييره وتبني مجد الأمم و حضارتها .

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر و المراجع :

- **القرآن الكريم**
- **المصادر :**

1) مالك بن نبي ، الظاهرة القرآنية ، تر: عبد الصبور شاهين ، دار القرآن الكريم ، الكويت، 1978م .

2) مالك بن نبي ، القضايا الكبرى ، دار الفكر ، ط1 ، دمشق ، 2000م .

3) مالك بن نبي ، تأملات ، تر : عمر كامل مسقاوي ، دار الفكر ، ط1 ، دمشق ، 1979م .

4) مالك بن نبي ، تبسيط مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي ، تر: و تلخيص عبد العظيم علي ، دار الدعوة للطباعة و النشر و التوزيع ، ط1 ، القاهرة ، 1997م .

5) مالك بن نبي ، شروط النهضة ، تر : عبد الصبور شاهين ، دار الفكر ، ط4 ، دمشق ، 1979م .

6) مالك بن نبي ، دور المسلم رسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين ، دار الفكر ، سوريا ، 1978م .

7) مالك بن نبي ، فكرة الإفريقية الآسيوية في ضوء مؤتمر باندونغ ، تر: عبد الصبور شاهين ، دار الفكر ، سوريا ، 2001م .

8) – مالك بن نبي ، مذكرات شاهد القرن ، الجزء الأول الطفل و الجزء الثاني الطالب ، تر: مروان القنواتي ، و مالك بن نبي نفسه ، 1970م–1969م .

– مالك بن نبي ، مذكرات شاهد القرن ، الجزء الأول الطفل و الجزء الثاني الطالب ، تر: مروان القنواتي ، دار الفكر ، ج1 ، ط1 ، بيروت ، 1969م .

9) مالك بن نبي ، مذكرات شاهد القرن طالب ، تر: مالك بن نبي ، دار الفكر ، ج2 ، ط1، بيروت ، 1970م .

10) مالك بن نبي ، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي ، تر: محمد عبد العظيم علي ، دار الدعوة ، 1970م .

11) مالك بن نبي ، مشكلة الثقافة ، تر: عبد الصبور شاهين ، دار الفكر ، سوريا ، 1984م .

12) مالك بن نبي ، ميلاد مجتمع ، تر: عبد الصبور شاهين ، دار الفكر ، ج1 ، ط3 ، دمشق ، 1986م .

13) مالك بن نبي ، ميلاد مجتمع ، تر: عبد الصبور شاهين ، دار الفكر ، سوريا ، 2006م .

14) مالك بن نبي ، وجهة العالم الإسلامي ، تر : عبد الصبور شاهين ، دار الفكر ، دمشق ، 1983م .

15) مالك بن نبي ، المسلم في عالم الإقتصاد ، تر: عبد الصبور شاهين ، إصدار ندوة مالك بن نبي ، دار الفكر ، بيروت ، دمشق ، 1981م .

16) مالك بن نبي ، أحاديث في البناء الجديد ، تر: عمر كامل مسقاوي ، منشورات المكتبة العصرية ، د ط ، صيدا ، بيروت ، 1977م .

17) مالك بن نبي ، شروط النهضة ، تر: عبد الصبور شاهين ، دار الفكر ، ط3 ، 1992م .

❖ **المراجع :**

18) أسعد السحمراني ، مالك بن نبي مفكرا اصلاحيا ، دار النفائس ، ط1 ، بيروت ، 1986م .

19) أنور الجندي ، أعلام القرن الرابع هجري ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة .

20) أحمد محمود صبحي ، في فلسفة التاريخ ، دار الثقافة ، ط1 ، بيروت ، الإسكندرية ، 1975م .

21) بشير ضيف الله ، فلسفة الحضارة في فكر مالك بن نبي ، د م ، د ط ، 2014م.

22) بن إبراهيم الطيب ، مواقف و أفكار مشتركة بين مالك بن نبي و ابن خلدون ، دار مداني ، د ط ، الجزائر ، 2002م .

23) باقر الصدر ، اقتصادنا ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، د ت ،.

24) جعفر حسين خصباك ، في تفسير التاريخ ، منشورات مكتبة النهضة ، بغداد ، د ت.

25) جماعة من الأساتذة السوفيات ، المادة ديالكتيكية ، فؤاد مرعي و آخرون ، دار الجماهير ، دمشق ، دت .

26) جيلالي بوبكر ، البناء الحضاري عند مالك بن نبي ، دار المعرفة ، باب الواد ، الجزائر ، 2010م .

27) رجب أبو دبوس ، نحو تفسير اجتماعي للتاريخ ، المنشأة العامة للنشر و التوزيع و الإعلان ، ط 1 ، طرابلس ، 1984م .

28) عبد الحميد صديقي ، تفسير التاريخ ، تر: كاظم الجوادي ، دار الكتبية للطباعة و النشر ، د ت .

29) عبد اللطيف عبادة ، صفحات مشرقة من فكر مالك بن نبي ، دار الشهاب ، ط1، باتنة ، 1984م .

30) عبد الكريم أحمد الشهرستاني ، الملل و النحل ، مكتبة الأنجلو المصرية ، د ت .

31) أنجلز فريدريك ، التفسير الاشتراكي للتاريخ (مختارات) ، تر: راشد البراوي ، دار النهضة العربية ، ط2 ، 1968م .

32) كارل ماركس ، فريدريك أنجلز ، البيان الشيوعي ، دار الطليعة ، بيروت ، لبنان ، دت.

33) كارل ماركس ، نقد الاقتصاد السياسي ، دار الطليعة ، بيروت لبنان ، د ت .

34) يوسف حسن ، نقد مالك بن نبي للفكر السياسي الغربي الحديث ، دار التنوير للنشر و التوزيع ، ط 1 ، الجزائر ، 2004م .

❖ **المقالات :**

35) ابن خلدون ، مجلة ماذا أعرف عن الإسلام ، الصادرة بالفرنسية عن مسجد طلبة جامعة الجزائر ، عدد رقم 10 ، عام 1973م .

❖ **الرسائل الجامعية :**

36) الأخضر شريط ، مشكلة التاريخ عند مالك بن نبي ، رسالة لنيل شهادة الماجستير ، جامعة الجزائر ، معهد الفلسفة ، 1988م1989م .

37) يوسف موساوي ، مالك بن نبي و موقفه من قضايا عصره ، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في تخصص التاريخ المعاصر ، كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية ، جامعة محمد خيضر ، بسكرة ، 2012م 2013م .

فهرس الدراسة

فهرس الدراسة

بسملة

شكر وتقدير

اهداء

مقدمة : .....أ

الفصل الأول : المرجعية الفكرية لمالك بن نبي

المبحث الأول : سيرته الذاتية.....5

المطلب الأول : حياته 5

المطلب الثاني : أعماله و مؤلفاته 7

المبحث الثاني : مصادره الفكرية 14

المطلب الأول : الثقافة العربية 15

المطلب الثاني : الثقافة الغربية 21

خلاصة الفصل : 23

الفصل الثاني : الأصول الفلسفية لفكرة التاريخ

المبحث الأول : تفسير فكرة التاريخ 24

المطلب الأول : فكرة التاريخ عند هيجل 24

المطلب الثاني : فكرة التاريخ عند كارل ماركس 33

المطلب الثالث : فكرة التاريخ عند مالك بن نبي 38

الفصل الثالث : مالك بن نبي و تصوره لحركة التاريخ

المبحث الأول : شروط الحركة التاريخية 46

المطلب الأول : عالم الأشخاص..... 46

المطلب الثاني : عالم الأفكار 51

المطلب الثالث : عالم الأشياء..... 61

المبحث الثاني : أسس الحركة التاريخية 68

المطلب الأول : معامل الفعالية..... 68

المطلب الثاني : الوعد و الوعيد..... 72

خاتمة :..... 76

قائمة المصادر و المراجع : 79

فهرس الدراسة 83

ملخص:

فكرة مالك بن نبي عن التاريخ تتمحور حول تضافر هذه العوالم الثلاث أي عالم الأشخاص ن وعالم الأفكار و عالم الأشياء بالإضافة إلى "معامل الفعالية"، و "الوعد و الوعيد" هي التي تؤدي إلى صناعة التاريخ و تغييره وتبني مجد الأمم و حضارتها .

الكلمات المفتاحية: الحركة التاريخية– الحركة الاقتصادية – مالك بن نبي– كارل ماركس

Abstract :

Malik Bin Nabi's idea of history revolves around the synergy of these three worlds, namely, the world of people, the world of ideas and the world of things, as well as the "factors of effectiveness", and "promise and awareness" that lead to the making and change of history and the adoption of the glory and civilization of nations.

Keywords: Historical Movement – Economic Movement – Malik Ben Nabi – Karl Marx